لغز الكلب
«ذو الرأسين»



محمود سالم

لغز الكلب «ذو الرأسين»

تأليف
محمود سالم



لغز الكلب «ذو الرأسين»

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩ ٢٥١٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

في ليلةٍ شديدة البرد ...

إذا كانت سِمنة «تختخ» من أسباب مَشاكله أحيانًا ... فهي في أحيانٍ أخرى نعمة لا شكَّ فيها ... هكذا كان يفكِّر في ليلةٍ باردة من ليالي شهر فبراير ... وهو يجلس في غُرفته يقرأ ... كان «البارومتر» المعلَّق في صالة المنزل يُشير إلى درجة حرارة ٧ ... وكان والداه يرتجفان بَردًا ... ويجلسان أمام المِدفأة وهو في ملابسه العاديَّة ... وقد استأذنهما أن يصعد ليُكمِل قراءة كتاب عن الحضارة العربية استهواه فيه أنه مكتوب بأسلوبٍ مبسَّط ... وحمل معه كوبًا من الحُلبة باللَّبن ... وهو شرابٌ يفضِّله والده عن الشاي ليلًا ... ولم يكَد يجلس ويفتح الكتاب حتى سمِع جرس التليفون في الدور الأرضي يدُق ... وأخذ يستنتج كعادته شخصية المتحدِّث ... ولكن آخِر شيء خطر بباله أن يكون واحدًا من المغامرين الخمسة ... فقد كانوا معًا في الصباح ... ولم تكُن هناك أيَّة مواعيد ليلًا ... خطر بباله هذا عندما سمِع والده يُناديه: مكالمة لك يا «توفيق»!

وقفز من مكانه وأسرع ينزل ... وكان والداه مُنهمِكَين في مشاهدة فيلم قديم في التليفزيون ... فأمسك سماعة التليفون وأخذ يُنصِت ... كانت المتحدِّثة هي «لوزة» ... وقال «تختخ» في نفسه إن «لوزة» وحدها بين المغامرين الخمسة التي يمكن أن تفكِّر في الاتصال به في هذه الساعة ... وفي هذا الجو ... لتطلب منه النزول.

كان صوت «لوزة» لاهثًا وهي تقول: «تختخ» آسفة لطلبك في هذه الساعة ... ولكن أحداثًا مُثيرة تحدُث!

تختخ: أحداثٌ مُثيرة ... أين؟

لوزة: في شارع رقم ١٣٣ عند العمارة الزرقاء!

تختخ: إنه من الشوارع الجديدة!

لوزة: نعم ... هناك صديقة لي تسكُن في نهايته ... وقد حدَث بجِوار منزلهم شيءٌ مُثير ... لصٌّ حاصَره السُّكان في منور العمارة الزرقاء ... وقد أرسلوا لاستدعاء الشاويش «علي» الذي يُنتظر أن يصل بين لحظة وأخرى.

تختخ: إنها أحداثٌ عادية يا «لوزة» ... فماذا تريدين؟

لوزة: ألا نذهب لنرى ما يحدُث هناك؟!

تختخ: سيقوم الشاويش بالقبض على اللص طبعًا ... ولا شيء أكثر من هذا!

لوزة: هناك شيءٌ هام ... إن اللص لا يتحدث اللغة العربيَّة!

فكَّر «تختخ» لحظات ثم قال: إنه شيءٌ غريب ... لصٌّ أجنبي؟!

لوزة: نعم ... فهو يُشير بيدَيه ويتحدث باللغة الإنجليزيَّة؟!

تختخ: هل عرفَت صديقتك ماذا كان يسرق؟

لوزة: لا!

تختخ: شيءٌ مُدهِش ... ماذا يفعل لصٌّ أجنبي في المعادي؟

لوزة: ألمْ أقُل لك إنه شيءٌ يستحقُّ أن نذهب لنراه ... إنه شيءٌ مُثير يا «تختخ»، ويجب ألا يفوتنا.

تختخ: لا تذهبي أنت ... وسوف أُحاول الخروج على طريقتي الخاصة!

وضع «تختخ» سماعة التليفون ثم فكَّر قليلًا ... هل يذهب؟ ماذا سيفعل هناك؟ ... وبفرض أنه شاهَد عملية القبض على اللص، ما فائدة هذا للمغامرين الخمسة؟!

سينتهي كل شيء في لحظات ... وإذا كان هناك معلوماتٌ مهمَّة فسوف يسمعون بها غدًا من الشاويش أو المفتش «سامي».

كاد «تختخ» يعود إلى جلسته الهادئة ... ولكن دماء المغامرة التي تسري في عروقه دفَعته إلى أن يقفز إلى صوان ملابسه، فيرتدي بعض الملابس الثقيلة، ثم أخذ بطَّاريته الصغيرة، وفتح النافذة ونظر إلى الخارج ... كانت الشوارع خالية من المارَّة ... والريح تعصف، وتسلَّلت الرياح الباردة إلى غُرفته، فأحسَّ برعدةٍ تسري في بدنه، ولكنه برغم هذا لم يتردَّد. تجاوَز حافة النافذة ... وتدلَّى لحظات حتى وصلت قدمه إلى أحد أفرُع الشجرة الضخمة التي تقف تحت نافذته، ونزل بحذر، وبعد عدة تنقُّلات يحفظها عن ظهرِ قلبٍ كانت قدماه قد وصلتا إلى الأرض ... ثم اندفع خارجًا من باب الحديقة ... وسُرعان ما كان يُسرِع الخَطو إلى العنوان الذي ذكَرَته «لوزة».

كانت المسافة بعيدةً بينه وبين المكان ... ولكنه قدَّر أن وصول الشاويش والقبض على اللص سوف يستغرقان بعض الوقت ... وأنه سيصل في الوقت المُناسب ... وأخذت

الريح تشتدُّ شيئًا فشيئًا ... وأحسَّ برذاذٍ خفيفٍ يتساقط من السُّحب المُنخفِضة ... وأدرك أن السماء ستُمطِر بعد قليل، فضاعَف من سرعته ... ولكن لم تَمضِ لحظات حتى تحوَّل الرذاذ إلى مطرٍ غزير ... وأخذ «تختخ» يجري مُحتميًا ببعض الشُّرفات البارزة ... وهو يلعن اللحظة التي قرَّر فيها الخروج.

بعد نحو ثلث ساعة وصل إلى المكان الذي حدَّدته «لوزة»، ولكن لم يكُن هناك ما يُشير إلى لصٍّ مُحاصَر ... كانت أبواب البيوت ونوافذها مُغلَقة بفعل الأمطار الغزيرة ... ولا شيء ... ولا شخص يمكن سؤاله عن الحادث.

توقَّف «تختخ» بجِوار باب إحدى العمارات، وأخذ ينظر حوله ... هل أخطأ العنوان؟ أبدًا ... إنه شارع رقم ١٣٣، في نهايته عند العمارة الزرقاء وفي هذا المنور كان المفروض أن يجد اللص ... ويسمع صيحات السُّكان ... ولكن كل شيء كان هادئًا ... فهل هو مَقلبٌ دبَّرته «لوزة»؟

لم يكُن من عادة «لوزة» أن تدبِّر مِثل هذه المقالب ... ولو كان «عاطف» هو المتحدِّث لكان من الممكن أن يكون هذا مقلبًا في هذه الليلة الباردة.

وفي اللحظة التي قرَّر فيها العودة إلى منزله ... شاهَد شبحًا صغيرًا يجري في المطر ... وبرغم ضعف الإضاءة في المنطقة نتيجةَ كسرِ لمبة عمود النور ... إلا أن «تختخ» لم يُخطئ شخصية الشبح ... كان «لوزة».

وخرَج «تختخ» من مَكمنه في الظلام، وصاح بصوتٍ مُرتفع: «لوزة» ... «لوزة»!

وغيَّر الشبح اتجاهه ... وأخذ طريقه إلى «تختخ»، وتحت الأمطار الْتَقى المُغامران!

قالت «لوزة»: أين اللص؟

تختخ: أيُّ لص؟! ... لا شيء هُنا مُطلَقًا ... ويبدو أن صديقتك دبَّرَت لك مقلبًا!

لوزة: ألمْ ترَ اللص؟

تختخ: لم أرَ سِوى المطر ... هل يمكن أن تدبِّر لك صديقتك مقلبًا في هذه الليلة الباردة المُظلِمة؟

لوزة: مُطلَقًا ... إنها فتاةٌ طيِّبة لا يمكن أن تفكِّر في مقلب من هذا النوع!

تختخ: لقد جئت منذ نحو عشر دقائق ... ولم أجد شيئًا مُطلَقًا!

لوزة: هناك حلٌّ واحد!

تختخ: ما هو؟

لوزة: إن صديقتي تسكُن في المنزل المُجاور للعمارة الزرقاء ... وسأصعد للحديث معها وأعود لك فورًا.

أسرعت إلى مدخل العمارة، ووقف «تختخ» وحيدًا ... في حين صعِدت «لوزة» إلى شقَّة صديقتها ... وأخذ «تختخ» يفكِّر في هذه الليلة العجيبة ... ما الذي دفعه إلى الخروج في هذه الساعة من الليل في هذا البرد والمطر ... وكيف استطاعت «لوزة» الخروج من منزلها وحدها ... هذه المُغامِرة الصغيرة النشيطة التي لا تكفُّ عن الحركة!

كان المطر يزداد عنفًا ... والريح تعصف بوحشيَّة ... وأحسَّ «تختخ» أنه كان أغبى إنسان في العالم لخروجه بسببٍ تافهٍ مِثل هذا السبب ... القبض على لص لا علاقة له به ... لا يعرفه ... وليس مُشتبكًا معه في صِراع ... وهناك كل يوم مئات اللصوص يُقبَض عليهم ... وليس من واجبه في هذا العالم أن يحضُر القبض على كل لص ...

وبينما هو سارح في خواطره ... سمِع أقدام «لوزة» على السُّلَّم، وعندما وصلت قالت بأنفاسٍ مُتسارعة: لقد كانت الواقعة صحيحة ... وقد حضر الشاويش، وقبض على اللص وانصرف!

تختخ: في أي اتجاه انصرف؟

لوزة: في اتجاه قسم الشرطة ناحية المحطَّة!

تختخ: لقد تأخَّرنا ... على كل حال لا بأس ... فقد كانت فرصةً أن أراك ... لكن لم تقولي لي كيف خرجت؟

لوزة: بعد أن دخلت تحت الأغطية وكِدت أستسلم للنوم، تصوَّرتك وحدك في هذا البرد والظلام والمطر، وأحسست أنني مسئولة عن خروجك وحدك، وما قد تتعرض له من مَخاطر ... فتسلَّلت من الفِراش، ولبست ملابسي، وأخذت مِفتاح المنزل من المطبخ، وخرجت من باب المطبخ الخلفي، ولم يُحسَّ بي أحد!

تختخ: يا لكِ من مُغامِرة يا «لوزة» ... هيَّا بنا قبل أن يستيقظ أحد من منزلكم ويبحث عنك، وأرجو ألا تكرِّري ذلك مرةً أخرى.

لوزة: لا أظنُّ أن أحدًا سيستيقظ في هذه الليلة الباردة، ومع ذلك هيَّا بنا!

وغادَرا مَدخل العمارة ... وكان منزل «لوزة» في نفس الطريق الذي سار فيه الشاويش «علي».

وضعت «لوزة» يدها تحت ذراع «تختخ»، وسارا وهما خائفان أن ينزلقا على الأرض اللَّزِجة ... وقد أضاء «تختخ» بطَّاريته ... وكانت الشوارع في هذه المنطقة مملوءة بالحُفَر والمطبَّات ... والأرض مفتوحة على الجانبَين لتركيب كابلات الكهرباء ومواسير المياه ... وقد ارتفعت أكوام من الطوب والرمل في كل مكان.

سارا دون حديث، وفجأةً خُيِّل إليهما أنهما يسمعان في الظلام صوت أنين بعيد، وتوقَّفا لحظات، وقال «تختخ»: هل تسمعين؟

ردَّت «لوزة»: نعم ... إنه صوتُ شخصٍ يئن!

أشار «تختخ» ببطاريته في اتجاه بعض أكوام الزلط والرمال، وقال: أظنُّ أن الصوت يصدُر من هذا المكان!

وأسرعا في اتجاه مصدر الصوت ... وبطارية «تختخ» تُلقي ضوءها في مختلف الاتجاهات، وفجأةً توقَّف الضوء عند شيء يتحرَّك ... وصاحت «لوزة»: الشاويش «علي»!

لم يكُن هناك شك ... إنه حِذاء الشاويش «علي» ... هذا الحذاء الضخم الذي يعرفه المغامرون ... وامتدَّ ضوء البطارية حتى شمِل جسد الشاويش الذي كان مُلقًى على الأرض المبتلَّة بملابسه الرسمية.

شيء في مكان الحادث …

أسرع «تختخ» إلى جِوار الشاويش بعد أن أعطى البطارية لـ «لوزة» وانحنى عليه. كان الشاويش يتأوَّه ويئِنُّ وهو يُحاول النهوض دون أن يستطيع … وصاح «تختخ»: شاويش «علي»؟!

ورفع الشاويش عينَيه إلى «تختخ» وكانت مياه الأمطار تسيل على وجهه وقد بَدا مذهولًا … وعاد «تختخ» يقول: شاويش «علي» … هل أنت بخير؟

هزَّ الشاويش رأسه، وقد بدت عليه علامات الألم الشديد، فقال «تختخ»: هل تستطيع أن تقف؟

أشار الشاويش برأسه علامة الموافقة، فمدَّ «تختخ» ذراعه تحت ذراع الشاويش وأخذ يُساعده على النهوض … وكانت «لوزة» ترقُب المشهد وقلبها يدُق سريعًا، وأخذ ذهنها اللامع يفكِّر بسرعة فيما حدَث … وفجأةً سمِعت صوت سيارة مُقبِلة تسير ببطء خشيةَ الأرض الزَّلِقة، فالتفتت إليها وأضاءت البطارية بضع مرَّات متقطِّعة … وأسرعت في اتجاه السيارة. شاهَد السائق الفتاة الصغيرة تجري ناحيته وهي تُشير له بالوقوف فتوقَّف … وكانت مفاجأةً عندما تبيَّن وجهها تحت أضواء السيارة … كان يعرفها … وعندما اقتربت منه وفتح الزجاج ليحدِّثها كانت مفاجأة لها … فهي تعرفه … إنه جارهم الدكتور «عبد اللطيف».

قالت «لوزة»: يا لها من صُدفة يا دكتور!

قال الدكتور بدهشة: ماذا تفعلين خارج منزلك في هذا الجو؟

لم تضيِّع «لوزة» وقتًا في شرح موقفها، بل قالت على الفور: إن الشاويش «علي» مُصاب، وقد عثرت عليه الآن … ومعي «توفيق»!

الدكتور: ماذا حدَث له … صدمته سيارة؟

لوزة: لا أدري ... ساعِدْنا!

وتقدَّم الدكتور بسيارته، وسلَّط أضواءها إلى حيث أشارت «لوزة»، وشاهَد الشاويش و«تختخ» يُساعده على الوقوف ... فنزل الدكتور سريعًا، وكشف على «الشاويش»، ثم طلب نقله إلى السيارة، وأسرع يركب السيارة مرةً أخرى.

تقدَّم الدكتور قليلًا بالسيارة حتى حاذت الشاويش و«تختخ»، ثم أوقفها وفتح الباب ... فأسرع «تختخ» يُساعد الشاويش على دخول السيارة، في حين فتحت «لوزة» الباب الثاني وقفزت إلى السيارة.

قال الدكتور: ماذا حدَث؟ هل الإصابة خطيرة؟

تختخ: لا أظن!

الدكتور: هل أذهب بك إلى المستشفى يا شاويش؟

قال الشاويش بصوتٍ يرتعش: لا ... إلى منزلي من فضلك، إنني على ما يُرام!

أخذ «تختخ» يصف للدكتور «عبد اللطيف» مكان منزل الشاويش، وسُرعان ما استدارت السيارة، وأخذت طريقها إلى وسط المعادي حيث يسكُن الشاويش ... وبعد نحو ربع ساعة توقَّفت، ومرةً أخرى ساعَد «تختخ» الشاويش على النزول ... ونزل الدكتور «عبد اللطيف» ومعه حقيبته الطِّبية ... وفتح الشاويش باب منزله ودخل ... وساعَده الدكتور و«تختخ» على استبدال ثيابه، ثم تمدَّد في فِراشه وهو يتأوَّه، مُشيرًا إلى رأسه.

أسرع الدكتور «عبد اللطيف» يكشف عن مكان الإصابة، وسُرعان ما كانت أصابعه الخبيرة تتحسَّس ورمًا كبيرًا في مؤخِّرة الرأس ... ففتح حقيبته وطلب من «تختخ» تسخين بعض الماء ...

شمَّر الطبيب عن ساعِدَيه، وأخذ ينظِّف الإصابة ... ثم ربط رأس الشاويش بالقُطن والشاش قائلًا: إنها إصابةٌ سطحية، ولكن الضربة كانت عنيفة ... وقد كان من الممكن أن تؤدِّيَ إلى ارتجاج في المخ.

وبعد أن انتهى الطبيب من عمله قال للشاويش: يجب أن ترتاح فترةً من الوقت، وقد كتبت لك بعض الأدوية البسيطة.

وغادَر الدكتور «عبد اللطيف» منزل الشاويش مُسرعًا ... فقد كان في الطريق لعيادة أحد مَرضاه ... وأصبح الثلاثة معًا؛ الشاويش و«تختخ» و«لوزة»، وجاء أوان الحديث ... ولاحَظ «تختخ» أن الشاويش ينظُر باستمرار إلى سقف الغُرفة كأنما يريد ألا تلتقيَ عيناه بعينَي «تختخ» ... ولكن «لوزة» لم تُلاحظ شيئًا، وانطلقت تقول: أين اللص؟

التفت إليها الشاويش وقد بدا عليه الانزعاج، وقال: اللص!

قالت «لوزة» ببساطة: نعم ... ألمْ تقبض الليلة على لصٍّ يتحدث اللغة الإنجليزيَّة، وكان مُختبئًا في منور العمارة الزرقاء!

أغمض الشاويش عينَيه لحظاتٍ ثم قال: لقد هرب!

صاحت «لوزة» مُرتاعةً: هرب!

الشاويش: نعم ... بعد أن قبضت عليه وكانت السماء تُمطِر طلبت من الناس التفرُّق، وقد تفرَّقوا فعلًا خوفًا من البلل واتقاءً للبرد، وأمسكته وسِرت تحت المطر.

قالت «لوزة» مُتسرعةً: ولكنه غافَلك وهرب!

قال «تختخ» برفق: دعي الشاويش يروي كيف حدَث كل شيء.

أحسَّت «لوزة» بالخجل وقالت: إنني آسفة!

عاد الشاويش إلى إغماض عينَيه وقال: لم يُغافلني ... ولكن كان معه شخصٌ آخَر ساعَده على الفِرار.

ومضى الشاويش يقول: لقد استدعَوني من المنزل ولم يكُن معي سلاح، فلبست ملابسي مُسرعًا وذهبت إلى هناك ... ووجدت الرجل وقد أغلقوا عليه أبواب المنور، وهو حبيسٌ يُشبِه الحيوان في القفص ...

وبدأت الدماء تندفع إلى وجه الشاويش وهو يقول: ولم أتردَّد في الدخول عليه، وأخذ يحدِّثني مُشيرًا بيدَيه، ولكنني لم أفهم منه شيئًا، وطلبت منه أن يسير معي إلى القسم فاستسلم، وخرجنا من المنور إلى الشارع، وبدأت السماء تُمطر، وبعد أن سِرنا مسافةً سمِعت نُباح كلب في مكانٍ قريب ... نُباح غريب يُشبِه النواح ... ولا أدري لماذا أحسست أن شيئًا غريبًا يدور حولي ... وبعد نباح الكلب سمِعت كأن أقدامًا مُسرعةً خلفي ... وسمِعت هَمهَمة كلب ... وكِدت ألتفت عندما هوَت على رأسي ضربةٌ قوية، فدارت الدنيا بي ... ولم أُفِق إلا عندما وجدتك أمامي.

ساد الصمت الغُرفة، ومرَّت لحظاتٌ ثقيلة، ثم قال «تختخ»: سأُعدُّ لك كوبًا من الشاي ثم أنصرف لتوصيل «لوزة» إلى منزلها!

ابتسم الشاويش لأول مرة وقال: أشكركما على ما قمتُما به من جهد!

وذهب «تختخ» إلى المطبخ، وظلَّت «لوزة» بجوار الشاويش الذي سألها: كيف عرفت بحكاية هذا اللص؟

لوزة: صديقة لي اتَّصلت بي وروَت لي ما حدَث، فاتَّصلت ﺑ «تختخ»، ثم لم أستطع مقاومة فضولي فنزلت لأرى!

عاد الشاويش إلى طبيعته الخشنة وقال: ألم أقُل لكم عشرات المرَّات ألا تحشروا أنفُسكم فيما لا يعنيكم؟

واحمرَّ وجه «لوزة»، وكادت تقول له إنه لولا وجودها و«تختخ» لكان حتى الآن مُلقًى في الأوحال تحت المطر ... ولكن منعها وجه الشاويش الشاحب، ودخول «تختخ» بالشاي.

وضع «تختخ» الشاي بجوار الفِراش، ثم نظر إلى ساعته وقال: لقد تأخَّرنا؛ فالساعة الآن بعد منتصف الليل بقليل ... هيَّا يا «لوزة»، تصبح على خير يا حضرة الشاويش ...

ردَّ الشاويش بإعياء: شكرًا لكما.

ولم يستطع الشاويش أن يملك نفسه، فقال بصوتٍ مُرتفع: ولا تتدخَّلوا بعد ذلك في عملي ... إنكم تعطِّلون سير العدالة!

وابتسم «تختخ» ولم يرد، وهمس في أذن «لوزة» وهما يُغادران منزل الشاويش: إذا لم يقُل هذه الجملة لظننت أن الضربة قد أثَّرت على تفكيره.

وضحِكت «لوزة» وخرجا مرةً أخرى إلى الظلام والبرد ... وكانت مياه المطر تلمع على أرض الشارع، ولا أثر لمخلوق في هذه الليلة الباردة المُمطرة.

سارا مُسرِعين ... وكلٌّ منهما غارق في خواطره ... وفجأةً قالت «لوزة»: هل عندك مانع يا «توفيق» أن نذهب إلى مكان الحادث مرةً أخرى، إن معي مِفتاح باب المطبخ، ولن يشعر أحد بغيابي.

تختخ: ولكن لماذا نذهب إلى هناك مرةً أخرى؟

لوزة: عندما أعطيتني البطارية لأُنير لك مكان الشاويش ... لاحظت أن الضوء قد وقع على شيءٍ لامع في مكان الحادث ... ولا أدري لماذا أُحسُّ أنه شيء له علاقة باللص الهارب والاعتداء على الشاويش ...

تختخ: قد تكون قطعة زجاج أو صفيح مُتخلفة عن عمليات الهدم والبناء في الشارع.

لوزة: لن نخسر شيئًا بالذهاب إلى هناك!

تختخ: سنخسر ساعة تقريبًا.

لوزة: فلنُحاول ... فقد نجد شيئًا هامًّا.

تختخ: ولماذا لم نفحص هذا الشيء ونحن هناك؟

لوزة: لقد شاهدت سيارة الدكتور «عبد اللطيف» ... فنسيت كل شيء إلا الاهتمام بالشاويش.

أمام إصرار «لوزة» ... لم يجد «تختخ» بدًّا من الذهاب معها ... خاصَّةً وقد خفَّت حِدَّة المطر وتحوَّل إلى رذاذٍ خفيف.

سارا مُسرِعين برغم الأرض الزَّلِقة ... وكان الكشَّاف يكشف لهما أماكن المياه والطين، وسُرعان ما اقتربا مرةً أخرى من مكان الحادث ... وأحسَّت «لوزة» بتوتُّر وهي تقترب من كومة الطوب التي وجدا الشاويش خلفها، ووقفا معًا، وأخذت «لوزة» تُدير البطارية هنا وهناك ... مُحاولةً أن تتذكَّر أين رأت هذا الشيء اللامع ... ولكن البطارية لم تكشف شيئًا لامعًا مُطلَقًا ... وأحسَّت «لوزة» بالخجل وهي تلتفت إلى «تختخ» يائسةً ... ولكن «تختخ» قال: لا بأس! إن ساعةً زيادة لن تؤثِّر في حياتنا.

وكادا يستديران ويسيران لولا أن «لوزة» صاحت وهي تركِّز ضوء البطارية في مكان بجِوار الطوب: هذا هو الشيء الذي رأيته!

وأسرعت تجري ناحية كومة الطوب، ولكن قدمها انزلقت وفقدت توازُنها، وكادت تقع لولا أن «تختخ» أسرع يُسندها قائلًا: على مهلك!

وانحنت «لوزة» على الأرض ... وبين الأوحال بدا شيءٌ لامع تحت ضوء الكشَّاف، ومدَّت «لوزة» يدها وأمسكت به ... وصاحت مُنتصرةً: ألم أقُل لك إنه ليس قطعة من الزجاج أو الصفيح ... إنها سلسلة مفاتيح!

وناولت «لوزة» السلسلة إلى «تختخ»، وركَّزت عليها ضوء البطارية، فأخذ «تختخ» يقلِّبها بين أصابعه ... كانت سلسلةً ثمينة، في الأغلب من الفضة، بها ثلاثة مفاتيح، وعليها شعارٌ غريبٌ جعل أنفاس «تختخ» تتسارع وهو يُتمتم قائلًا: شيءٌ غريب ... كلبٌ ذو رأسَين!

الكلب ذو الرأسين ...

اقتربت «لوزة» من «تختخ»، وأخذت تتأمل السلسلة هي الأخرى ... كانت مُنفعلة لأن الشيء الذي جاءت تبحث عنه وجدته ... وأنه لا بد أن يكون أحد الأدلَّة المهمَّة في حكاية اللص الهارب ... ولكن «تختخ» كان يفكِّر بطريقةٍ أخرى ... إن وجود السلسلة في هذا المكان ليس معناه أن لها صلة بالحادث ... فقد تكون قد سقطت من أيِّ شخص مرَّ بالمكان قبل ذلك ... بل قد تكون سلسلة الدكتور «عبد اللطيف»، ولكنه تذكَّر أن «لوزة» قالت له إنها شاهَدت الشيء اللامع قبل وصول الدكتور «عبد اللطيف» ... وهذا يعني أنها ليست له.

كان يتأمل السلسلة في إعجاب ... فـ «الميدالية» التي تنتهي بها قطعةٌ فنية من الواضح أنها ليست من النوع الذي يمكن أن يُباع في المحلَّات ... إنها شيءٌ خاص. وقلَبها على الوجه الآخر، ووجد صورة لقلعةٍ منحوتة ... تُشبِه القِلاع القديمة في «أوروبا»، وتذكَّر أن الرجل كان يتحدث الإنجليزيَّة ... فهذه السلسلة في الأغلب لها علاقة بالحادث.

قالت «لوزة»: ما رأيك؟

ردَّ «تختخ»: إنني لم أكوِّن رأيًا بعد، وليس من المستبعَد، على كل حال، أن يكون لهذه السلسلة علاقة بالحادث ... وقد لا يكون ... هيَّا بنا.

وسارا مُسرِعين صامتين ... وكلٌّ منهما يفكِّر في السلسلة ... وفي سلسلة الأحداث الغريبة التي مرَّت بهما.

ووصلا إلى منزل «لوزة»، وانتظر «تختخ» حتى اطمأنَّ أنها دخلت، ثم سار إلى منزله، وعن طريق الشجرة دخل غُرفته ثم أغلق النافذة، وخلع ثيابه، ولبس ملابس النوم، ووضع «الميدالية» أمامه، وأخذ يتأملها بوضوحٍ أكثر وبدقةٍ أكثر ... ومرةً أخرى أثارت إعجابه ودهشته ... كانت قطعةً فنية فعلًا صاغَها صائغٌ ماهر ... ولم يعُد يشكُّ أنها من الفضة الخالصة ... ولاحَظ وجود كتابة تحت تمثال القلعة ... واستطاع أن يقرأ حرفَين كبيرين

«د. ك» باللغة الإنجليزية ... ثم أعاد النظر إلى الوجه الآخر ... الكلب ذو الرأسين ... كان يبدو كحيوانٍ خُرافي من حيوانات الأساطير ... رقبةٌ واحدة ورأسان ... كلٌّ منهما يفتح فمه كأنما ينبح ... وتذكَّر كلام الشاويش «علي» ... لقد قال إنه سمِع نُباح كلب حزين قُبَيل الاعتداء عليه ... وأحسَّ «تختخ» برعدةٍ تَسري في جسده ... هل هناك علاقة بين كلب «الميدالية» ذي الرأسين وبين الكلب الذي ينبح؟

شيءٌ غريب بدأ يُسيطر على «تختخ» ... إحساس بأنه شِبه خائف ... وكأنه في غابةٍ كثيفة في ليلةٍ مُظلِمة وحده ... وأخذ يستسلم لشيء من الوهم ... إن هذه «الميدالية» وما عليها من تماثيل وحروف شيءٌ سِحري خارق ... ولكن سُرعان ما هزَّ رأسه وابتسم؛ فهو ما زال في غُرفته ... في منزله ... في المعادي ... وليس في الغابة ... وليس مع سحَرة الغابة.

انتقل بعد ذلك إلى تأمُّل المفاتيح الثلاثة ... واحدٌ كبير كُتِب عليه بخطٍّ واضح كلمةُ «جاجوار»، وهي طِرازٌ شهير من السيَّارات الإنجليزية الفاخرة. وواحدٌ صغير طويل ومدبَّب عليه اسم «سيف» بالإنجليزية. أما المِفتاح الثالث فكان مِفتاحًا غريب الشكل، من الواضح أنه شديد القِدم، وأنه قد تم تنظيفه حديثًا ... وعندما تأمَّله جيدًا وجد شعار القلعة محفورًا عليه.

وقال «تختخ» محدِّثًا نفسه بصوتٍ مُرتفع: شيءٌ غريب ... لم أرَ في حياتي شيئًا واحدًا يحمل كل هذه الرموز مثل سلسلة المفاتيح هذه.

وضمَّ قبضته على السلسلة، ومدَّ بصره عبر الغُرفة، وأخذ يفكِّر في حادث الليلة ... هل كان هذا الرجل مجرد لص؟ أو خلفه قصةٌ أكبر وأخطر؟! هذا الرجل الذي يتحدث الإنجليزية ... ويحمل سلسلة مفاتيح عليها قلعةٌ إنجليزية في الأغلب، ومعه مِفتاح سيارة إنجليزية ... أشياء غريبة ... غريبة.

وانسحب «تختخ» تحت الأغطية وهو ما زال يقبض على السلسلة العجيبة ... ثم مدَّ يده وأطفأ النور، ومرَّت فترةٌ طويلة قبل أن يتمكَّن من النوم.

استيقظ «تختخ» في صباح اليوم التالي على يدٍ تهزُّه ... فتح عينَيه مُتضايقًا؛ فقد كان ما زال يُحسُّ رغبة في النُّعاس ... ورأى وجه «عاطف» الباسم يقول له: إن الشمس في الخارج مُصرَّة على أن تراك ... ومن العيب أن تُخلِف مَوعدك معها.

ونظر «تختخ» فوجد بقيَّة المغامرين يُحيطون بفِراشه ... ثم شاهَد «زنجر» يقفز بقدمَيه الأماميتين على الفِراش وهو يُهَمْهِم في سعادة.

قال «تختخ»: كم الساعة؟

ردَّ «عاطف» ضاحكًا: الساعة خمسة وعشرون!

ردَّت «نوسة»: صباح الخير يا «توفيق»، الساعة العاشرة وعشر دقائق. ولحُسن الحظ نحن في إجازة نصف السنة ... إلا ...

ارتكز «تختخ» على مرفقَيه وجلس في الفِراش ... ونظر إلى أصدقائه وكأنه لا يُصدق أنهم هم ... كانت أفكار الليلة الماضية تُسيطر عليه ... وقد ظل فترةً طويلة يحلُم بها ... لهذا احتاج إلى بعض الوقت ليستعيد نفسه ... ووجد يده اليمنى مقبوضة، ففتحها ووجد سلسلة المفاتيح ... فمدَّ يده إلى الأمام بها قائلًا: هل روَت لكم «لوزة» ما حدَث أمس؟

ردَّ «محب»: نعم ... أحداثٌ غريبة!

تختخ: هذه هي سلسلة المفاتيح ... أرجو أن تفكِّروا ماذا تعني بالنسبة لكم حتى أغتسل وأُفطر وأعود إليكم.

نوسة: سننزل إلى الحديقة ... فالشمس دافئة!

وأسرعوا جميعًا ينزلون، وقام «تختخ» بالاغتسال، ثم تناول إفطارًا سريعًا ... وحمل معه صينية عليها إبريق الشاي والأكواب، وخرج إلى المغامرين في الحديقة.

كان الحديث مُحتدمًا بينهم حول السلسلة ... وكانت «نوسة» هي التي تتحدث عندما وصل «تختخ» وسمِعها تقول: في إمكاني أن أعرف بعض المعلومات عن القلعة التي على وجه «الميدالية» ... إن عندنا كما تعرفون دائرة المعارف البريطانية ... وسأطلب من والدتي مساعدتي في البحث عن القلعة وترجمة المعلومات الخاصة بها!

قال «عاطف»: ليس مهمًّا القلعة، المهم حقًّا هو الكلب ذو الرأسَين ... ماذا يعني هذا الكلب ... وهل يمكن أن يكون حقيقيًّا؟

رد «تختخ» على هذه الملاحظة بقوله: بل من المهم جدًّا أن نعرف حكاية القلعة، ولعلَّنا عن طريقها نستطيع أن نصل إلى معنى «الكلب ذو الرأسين» ... وهو في الأغلب رمز لشيءٍ ما ... لمعنًى ما ... ولكنه بالطبع ليس حيوانًا حقيقيًّا ... صحيحٌ أنه يحدُث أحيانًا أن تلد كلبة كلبًا ذا رأسَين، كما نقرأ في الجرائد عن الحيوانات — بل الناس — الذين يُنجبون مواليد شاذَّة ... ولكن هؤلاء لا يعيشون طويلًا ... ويصبحون مجرَّد حالات للدراسة ولا شيء آخر ...

وسكت «تختخ» وهو يصبُّ الشاي ... وقالت «لوزة»: إن ما يهمُّني معرفته الآن هو ماذا كان يسرق هذا اللص.

رد «تختخ» على الفور: سؤالٌ هام جدًّا ... من الواضح أنه لصٌّ غير عادي ... لصٌّ لا يتحدث إلا الإنجليزية ... من الممكن طبعًا أن يكون مجرَّد لص عادي ... ولكن الأرجح أنه لم يأتِ من بلاده ليُمارس السرقة في بلادنا ... خاصَّةً سرقة المَنازل ... لهذا أظنُّ أنه كان يُحاول سرقة شيء معيَّن!

نوسة: ولعلَّه لم يكُن لصًّا على الإطلاق!

تختخ: ليس هذا بمستبعَد ... ولكن كيف تفسِّرين وجوده داخل منزل لا يسكُن فيه ... وليس فيه أحد من معارفه ... في هذه الساعة من الليل؟

محب: إنني أقترح أن نقوم بجولةٍ حول مكان الحادث ... نسأل فيها كل من يمكن سؤاله عن الظروف التي شُوهِد فيها الرجل، وماذا كان يفعل بالضبط ... ولعل صديقتك يا «لوزة» التي أنبأتك بحِصار اللص يمكن أن تُفيدنا.

قالت «لوزة»: إن «سلوى» لن تتردد في مساعدتنا ... المهم ألا تكون قد ذهبت إلى القاهرة؛ فقد كان عندها أمس صديقتاها «راندا» و«داليا»، وفهمت أن «سلوى» ستذهب لقضاء اليوم عندهما في مدينة الصحفيين حيث تسكُنان في فيلَّا هناك، وهما أيضًا قد شاهَدتا ما حدَث!

تختخ: لنتَّصل بها تليفونيًّا ونرى!

وأسرعت «لوزة» إلى داخل الفيلَّا، وعندما عادت بعد دقائق قالت: إنها فعلًا قد ذهبت مع صديقتَيها إلى مدينة الصحفيين، وقد حصلت على العنوان ورقم التليفون ... هل أتَّصل بها هناك؟

تختخ: نعم ... فما دامت «راندا» و«داليا» قد شاهَدتا ما حدث فسيكون عندنا ثلاثة شهود يمكن أن يُساعدونا كثيرًا!

عادت «لوزة» لدخول الفيلَّا والحديث إلى صديقتَيها في مدينة الصحفيين ... ثم عادت مُبتهجةً وقالت: إن «راندا» و«داليا» ترحِّبان بزيارتنا لهما ... خاصَّةً وأن عندهما معلوماتٍ مهمَّةً عن أحداث الليلة الماضية ... ف «راندا» هي أول من شاهَد اللص وهو يقفز فوق سور إحدى الفيلَّات.

تختخ: عظيم ... ولا داعي لأن نذهب جميعًا ... وأقترح أن تذهب «لوزة» و«محب» فقط ... ونقوم نحن الباقين بالبحث حول مكان الحادث، خاصَّةً وأنه يجب أن نزور الشاويش «علي» للاطمئنان على صحته!

ولكن قلق «تختخ» على صحة الشاويش لم يكُن له داعٍ ... ففي هذه اللحظة سمِع المغامرون الخمسة و«زنجر» طبعًا أقدام الشاويش وهي تدقُّ أرض الشارع، ثم ظهر عند باب الحديقة وقد بدا شاحبًا، ورأسه ما زال مربوطًا بالقطن والشاش ... وقف الشاويش لحظات، فأشار «تختخ» لـ «محب» و«لوزة» بالتحرُّك للذهاب إلى مقابلة «سلوى» وصديقتَيها ... وفعلًا تحرَّك الاثنان، وأسرع «تختخ» بحركةٍ لا شعورية يُخفي سلسلة المفاتيح في جيبه.

وتقدَّم «تختخ» يرحِّب بالشاويش الذي دخل بخطواتٍ مُضطربة، وألقى تحيَّة الصباح على الأصدقاء في إعياءٍ ظاهر.

قال «تختخ»: لماذا غادرت الفِراش يا شاويش ... ألم يطلب منك الدكتور «عبد اللطيف» أن تبقى مُستريحًا فترة؟

قال الشاويش وهو يستلقي على أحد المقاعد: كيف أرتاح وقد هرب منِّي لص، وسوف أُسأل عن هذا أمام رؤسائي!

تختخ: إنك لست مسئولًا؛ فقد تعرَّضت لحادث اعتداء، ولم يكُن في إمكانك أن تفعل شيئًا!

الشاويش: سأحتاج لشهادتك أنت و«لوزة» إذا أُثيرت المسألة!

تختخ: هل حدث شيءٌ جديد؟

الشاويش: نعم ... تقدَّمت سيِّدة بشكوى من أن اللص قد اقتحم مَسكنها، وأنها عندما أحسَّت به صرخت ... وهذه السيِّدة تسكن في الفيلَّا التي تقع خلف العمارة الزرقاء ... حيث قبضت على اللص قبل أن يهرب مني.

«عاطف» يُثير عاصفة

كان «تختخ» يعبث بسلسلة المفاتيح في جيبه وهو يستمع إلى الشاويش ... وكان يفكِّر هل يسلِّم السلسلة للشاويش! إن واجبه أن يسلِّمها له بغضِّ النظر عن أهميتها بالنسبة للمغامرين الخمسة وهم يُحاولون حلَّ هذا اللغز، وبغضِّ النظر عن أن الشاويش قد لا يجد فيها ما يستحق البحث.

وقال «تختخ»: إنني و«لوزة» على استعداد طبعًا للإدلاء بشهادتنا إن كانت لها قيمة ...

قالت «لوزة»: بالمناسبة يا شاويش ... هل أبلَغ أحد عن سرقة شيء في الليلة الماضية في المنطقة التي وقع بها الحادث؟

رد «الشاويش»: لحسن الحظ لم يبلِّغ أحد ... ويبدو أن اللص لم يجد وقتًا للسرقة بعد أن أحسَّت به السيدة وصاحت مُستنجدةً؛ لهذا لن يكون هرب اللص قضيةً هامَّة عند رؤسائي.

تختخ: خاصَّةً وأنه من الممكن ألا يكون الرجل لصًّا على الإطلاق، وربما يكون فقط قد أخطأ الطريق إلى مسكن يسأل عنه أو شيء من هذا القبيل.

ابتسم «الشاويش» لأول مرة وقال: هذا ما فكَّرت فيه ... فلم يكُن يبدو عليه أنه لصٌّ مُطلَقًا؛ فقد كان يرتدي ثيابًا في غاية الأناقة، وكان مهذَّبًا ولم يُقاومني، بل استسلم من اللحظة الأولى التي رآني فيها ... بل إنني شعرت أنه كان مُحتاجًا لأن أخلِّصه من المأزق الذي وقع فيه.

كان عند «تختخ» ملاحظةٌ هامَّة على حديث الشاويش ... ولكنه تركها جانبًا؛ فقد كان يحتاج إلى معلومات ... فسأل الشاويش: وما هو شكل الرجل بالضبط؟

الشاويش: واضح تمامًا أنه أجنبي ... أشقر ... مُتوسط الطول ... يلبس ملابس من الصوف الثقيل ... وكوفيه حريرية تغطِّي رقبته ...

نوسة: ألم تسأله عن اسمه وسبب وجوده في هذا المكان؟

الشاويش: لم يتَّسع الوقت ... وكنت قد قرَّرت أن أستجوبه في القسم.

ووقف الشاويش بعد أن انتهى من شرب كوب الشاي الذي أحضرته له الشغَّالة ...

وكانت أصابع «تختخ» تقبض على السلسلة بشدَّة ... وقد استقرَّ رأيه على تأجيل تسليم السلسلة إلى الشاويش فترةً أخرى ...

وبعد انصراف الشاويش تَناقَش «عاطف» و«تختخ» و«نوسة» لبضع دقائق، واتَّفقوا على اللقاء بعد عودة «لوزة» و«محب» من مدينة الصحفيين ... على أن يذهب «عاطف» لمعاينة الفيلَّا التي أشار إليها الشاويش في حديثه.

عندما عاد «محب» و«لوزة» من لقاء «راندا» و«داليا» كان عندهما أخبار ومعلوماتٌ هامَّة ... وانعقد اجتماع المغامرين الخمسة بعد الغداء مباشرةً في حديقة منزل «عاطف» كالعادة.

وقالت «لوزة» مُتحمسةً: إن الفتاتَين في غاية اللُّطف والذكاء، وهما قارئتان مُمتازتان، وقد رحَّبتا بنا ترحيبًا حارًّا ...

عاطف: دعك من المقدِّمات وحدِّثينا عن المعلومات!

نظرت إليه «لوزة» في ضِيق وقالت: سأقول كل شيء في موعده!

ثم تنهَّدت وقالت: قالت لي «راندا» إنها كانت بالصدفة تقف في النافذة تنتظر أختها عندما سمِعت أول نداء استغاثة من السيدة التي تسكُن الفيلَّا، وشاهَدت الرجل وهو يقفز فوق السور والبوَّاب يجري خلفه ... ثم شاهَدته وهو يدخل العمارة ليختفيَ فيها، وقالت إنها رأت من بعيدٍ سيَّارةً تقِف في الظلام.

تختخ: أي نوع من السيَّارات؟

لوزة: لم تكُن «راندا» تستطيع أن تعرفها على البعد ... ولكن شقيقتها «داليا» التي كانت في الشارع في ذلك الوقت رأت ما يهمُّنا ... فقد شاهدت نفس السيارة، وهي ترجِّح أنها ماركة «جاجوار».

صاح «تختخ» بحماس: «جاجوار». إن المِفتاح الذي في السلسلة لسيَّارة من هذا النوع.

لوزة: وعندما سمِعت «داليا» صرخة السيدة ... لاحظت أن باب السيارة الواقفة قد فُتح ونزل منه رجلٌ طويل القامة، يلبس نظَّارةً سوداء ... ويحمل عصًا بَيضاء، ونزل معه من السيارة كلبٌ ضخم.

حبس المغامرون أنفاسهم وهم يستمعون إلى حديث «لوزة» عن معلومات «داليا»، وصفَّر «تختخ» قائلًا: إنها معلومات على أكبر جانب من الأهمية.

لوزة: وقد اتَّجه الرجل والكلب إلى ناحية الصرخة ... ولكن عندما تَكاثَر الناس وارتفعت أصواتهم وهم يُطاردون اللص، عاد الرجل إلى السيارة ووقف بجِوارها.

نوسة: وماذا حدَث بعد ذلك؟

محب: لا شيء ... فقد أسرعت «داليا» إلى الصعود، وانضمَّت إلى الناس في مشاهدة اللص وهو مُحاصَر في منور المنزل ... ولـ «راندا» ملحوظةٌ هامَّة ... فقد سمِعت أثناء ذلك صوت نُباح كلب عميق وحزين.

ضغط «تختخ» على شفته السُّفلى بأسنانه ... وبدا واضحًا على وجهه أن ذهنه يعمل بسرعة ... وأنه مِثل كلب الصيد الذي كاد يُدرك فريسته ... فقد بدأت القصة الغامضة تتكامل بعد مشاهدات وملاحظات الفتاتَين الذكيَّتَين «راندا» و«داليا»، وبعد صمتٍ قصير قال «تختخ»: إن أمامنا قصةً شِبه مُتكاملة لما حدَث ليلة أمس ... وفي إمكاني أن أقدِّم لكم فصول هذه القصة.

وبدا الاهتمام على وجوه المغامرين، ومضى «تختخ» يقول: قد لا تكون المواعيد دقيقة، ولكن بقدر الإمكان سأحسبها حسب المدة التي استغرقها كل حدث ... ففي الساعة العاشرة والنصف ليلًا ... والجو باردٌ يُنذِر بالمطر ... نزل رجل من سيَّارة «جاجوار»، ودخل فيلَّا السيدة العجوز خلف العمارة الزرقاء ... ولنقُل إن اسم هذا الرجل هو «س»، ولا ندري ماذا كان هدف «س» من دخول الفيلَّا ... هل كان بغرض السرقة ... أو لغرضٍ آخَر!

وسكت «تختخ» لحظةً ثم قال: وفي السيَّارة «الجاجوار» كان هناك في الانتظار رجلٌ أعمى وكلب.

صاحب «لوزة»: أعمى ... كيف عرفت أنه أعمى؟

تختخ: المسألة بسيطة ... تخيَّلي رجلًا يلبس نظَّارةً سوداء ليلًا، ويحمل عصًا بَيضاء ... ويُمسك بكلب ... إن هذه مواصفات رجل أعمى بلا أدنى شك ... فالعصا البيضاء هي دليل المكفوفين في أوروبا ... بل هناك دليلٌ آخَر ... إن هذا الرجل لم يشترك في دخول الفيلَّا، وفضَّل الانتظار في السيارة ... ولو كان سليم النظر لانضم إلى «س» في دخول الفيلَّا.

قالت «نوسة» معلِّقةً: معقول!

ومضى «تختخ» يقول: وأحسَّت السيدة العجوز بالسيد «س» وهو يدخل الفيلَّا، فصرخت مُستنجدةً ... وأسرع الرجل بالفِرار ... فلما طارَده البوَّاب، وكاد يُمسِك به، لم يجد أمامه بدًّا من القفز إلى منور العمارة الزرقاء حيث حاصَره السكان.

وسكت «تختخ» لحظات ثم مضى يقول: واتَّصل شخص بالشاويش الذي حضر مُسرعًا واستطاع القبض على الرجل ... وفي هذا الوقت بدأت السماء تُمطر ... وتفرَّق الناس

... ومضى الشاويش مع «س» إلى قسم الشرطة ... وكان الأعمى قد سمِع الضجَّة، واستطاع بواسطة الكلب أن يتبع الشاويش، وتمكَّن من ضربه بالعصا على رأسه وإنقاذ زميله ... وفي هذه الأثناء سقطت من أحد الرجلين — وفي الأغلب من «س» — سلسلة المفاتيح التي عثرنا عليها.

قالت «نوسة»: وقد وجدنا مع سلسلة المفاتيح شعار قلعة أوروبية قديمة، وقد قمتُ بمساعدة والدتي في البحث عن هذه القلعة في دائرة المعارف البريطانية، وعرفنا أنها قلعة «كورنويل».

قال «تختخ»: عظيم يا «نوسة» ... إنك لم تُخبريني بما فعلت!

نوسة: عندما انفضَّ اجتماعنا هذا الصباح عدتُ إلى المنزل فورًا، وقمت بهذه المهمَّة.

تختخ: ومعلوماتك صحيحة ... فعلى السلسلة حرفان بالإنجليزية هما «د. ك»، والحرف الثاني هو أول حرف من كلمة «كورنويل» ... فما دلالة الحرف الأول؟

محب: أعتقد أنه لقب ... مثل «دوق» مثلًا!

تختخ: معقول ... معقول جدًّا ... فالسلسلة تخص «دوق كورنويل» أو أحد أقاربه ... أو هي حتى مسروقة منه!

عاطف: بقي تقريرٌ بسيط مطلوب مني، وهو خاصٌّ بالفيلَّا التي حاوَل «س» دخولها ... فقد ذهبت أنا أيضًا بعد اجتماع الصباح، وعايَنت الفيلَّا، وحصلت على بعض المعلومات عنها ... وكلمة فيلَّا لا تصدُق بالضبط على هذا المبنى الضخم؛ فهو في الحقيقة قصرٌ قديم تُحيط به حديقةٌ واسعة، وقد بُنِي القصر عام ١٩٢٥ أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر، وبناه أحد أثرياء الإنجليز ...

وسكت «عاطف» لحظات ... وأخذ ينظر إلى وجوه المغامرين، ثم ألقى قنبلة قائلًا: والذي بناه يُدعى «جيمس كورنويل»!

وارتفعت صيحات الدهشة من المغامرين جميعًا ... حتى «زنجر» اضطرَّ إلى هزِّ ذيله أمام هذا الحماس المُفاجئ من المغامرين ... وقال «تختخ»: ومن أين حصلت على هذه المعلومات الهامة؟

عاطف: إنني كمُغامر ...!

قاطَعه «محب» قائلًا: دعك من الادِّعاء ... كيف حصلت على المعلومات؟!

عاطف: بسيطة جدًّا ... عثرت تحت الشُّجَيرات التي تغطِّي المدخل على لوحةٍ رخامية عليها هذه المعلومات!

وضحِك المغامرون، ومضى «عاطف» يقول: وقد اشترى القصرَ ثريٌّ من عائلة «فلتس»، ثم وُضعت عليه الحراسة … وعندما رُفعت عنه الحراسة عاد إلى العائلة … وكان من نصيب سيدة تُدعى «مريم»، وهي تُقِيم فيه وحدها بعد وفاة زوجها وسفر أبنائها للعمل أو الدراسة في الخارج!

لوزة: وهل وجدت هذه المعلومات مكتوبة على لوحةٍ رخامية أيضًا؟

رد «عاطف» باسمًا: بل وجدتها مكتوبة على لسان البوَّاب الذي يحرس القصر منذ عام ١٩٥٠، وقد قال لي إنها ليست المحاولة الأولى لدخول القصر … فقد سبق أن حاوَل شخصٌ دخوله ليلًا في نفس هذا الموعد تقريبًا منذ عام.

تختخ: هل هذا كل شيء؟

عاطف: شيءٌ واحد … على اللوحة الرخامية … يوجد نفس الشعار الذي على السلسلة؛ أعني شعار قلعة «كورنويل».

ومرةً أخرى ارتفعت صيحات الدهشة من المغامرين، وابتسم «عاطف» وهو راضٍ عن نفسه تمام الرضا.

كنز قصر «كورنويل» ...

قالت «نوسة»: إن عندنا الآن قصةً كاملة التفاصيل ... ومعلومات لم تتوافر في لغز من قبل، والمهم الآن من أين نبدأ.

رد «محب»: أعتقد أن البداية واضحة ... فيجب أن نعرف ما الذي يريده «س» والأعمى من قصر «كورنويل» القديم ... إنهما إذا كانا يُريدان شيئًا من حقِّهما الحصول عليه، فقد كان يجب عليهما أن يطلبا بشكلٍ واضح من مالكة القصر الحالية ... أما محاولة اقتحام القصر ليلًا، فهذا معناه أنهما يريدان الحصول على شيء ليس من حقِّهما الحصول عليه ... فما هو هذا الشيء؟

قال «تختخ» معلِّقًا: هذا كلامٌ معقول ... ولكني أقترح أن نقوم بالبحث في اتجاهَين؛ اتجاه معرفة الشيء الذي يبحث عنه «س» والأعمى ... والبحث عنهما شخصيًّا في نفس الوقت، وأيٌّ من الاتجاهين يؤدي إلى الآخَر.

لوزة: فلننقسم إذن إلى مجموعتَين ... ومن البداية أنا في مجموعة «تختخ»!

ابتسم المغامرون ... فهذه هي عادة «لوزة» باستمرار؛ أن تعمل مع «تختخ».

قال «تختخ»: هناك شيء لا بد أن نتحدث عنه ... هو سلسلة المفاتيح ... إن هذه السلسلة كان يجب تسليمها إلى الشاويش «علي» منذ العثور عليها ... ولكنِّي أبقيتها معي ... وإنني أشعر بتأنيب الضمير، فما رأيكم؟

ردَّت «نوسة»: إننا مِثل الشاويش نعمل من أجل الحقيقة والعدل ... وأعتقد أننا نستطيع الاستفادة من السلسلة في حلِّ هذا اللغز أكثر مما يستطيع الشاويش أن يفعل، وكل ما علينا أنه عندما ننتهي من حل اللغز أن نضع كل الحقائق أمام الشاويش بحيث يتصرف هو كممثِّل للقانون.

لوزة: بهذه المناسبة ... هناك سؤالٌ غريب ... هل يستطيع الأعمى أن يوجِّه ضربة بهذه الدقة؟ أعني ضرب الأعمى للشاويش.

ردَّ «محب»: هذا ممكن جدًّا ... إن العُميان تنمو عندهم حواسهم لتعويض فقد البصر، ونحن نسمع عن عُميانٍ يؤدُّون أعمالًا في غاية الدقة وبمهارةٍ فائقة!

ونظر «تختخ» إلى ساعته وقال: إن ساعتي تُعلن الثانية ... وبطني تُعلن أن ساعة الغداء قد حانت ... سنفترق الآن على أن نلتقيَ في الخامسة ... وسنفكِّر جميعًا في خطتَي البحث عن الشيء المجهول الذي يبحث عنه «س» والأعمى ... وعن الرجلين شخصيًّا.

وغادَر «تختخ» مكانه مُسرعًا وخلفه «زنجر»، ولكن لم يكَد يصِل إلى باب الحديقة حتى ظهر الشاويش «علي» بالرباط على رأسه ... ولكن وجهه كان أقل شحوبًا، ولهجته أكثر استفزازًا.

قال «الشاويش»: لقد قلتُ عشرات المرَّات ألا تتدخَّلوا في عملي ... ولكنكم لا تسمعون الكلام ... وسأكون مضطرًّا لاتخاذ إجراء ضدكم!

التفَّ المغامرون حول الشاويش، وقال «تختخ»: ماذا حدث يا شاويش؟

الشاويش: لقد جئت حالًا من فيلَّا السيدة العجوز ... وقد علِمت من البوَّاب أن أحدكم كان هناك يسأل عن الفيلَّا وساكنتها ... فما هذا الكلام؟

رد «عاطف»: إنني أنا الذي ذهبت يا شاويش ... هل هناك شيءٌ مُخالف للقانون في السؤال عن تاريخ أحد المنازل ... خاصةً وأنني أنوي شراءه!

احمرَّ وجه «الشاويش» وقال بعنف: هل تسخَر مني ... أنت تشتري هذه الفيلَّا؟

عاطف: نعم يا شاويش ... هل هناك مانع! إنني سأفتح حصَّالتي وأشتري الفيلَّا!

انفجر «الشاويش» غاضبًا وقال: لا بد من اتخاذ إجراء ضدكم ... بالأمس تتدخلون، واليوم تسألون ... هذا ما لن أسكت عليه ...

تضايق «تختخ» من لهجة الشاويش وقال: كيف تدخَّلنا أمس يا شاويش «علي»؟!

كان «تختخ» يُشير إلى أنه و«لوزة» هما اللذان أنقذا الشاويش وهو مُصاب ومُلقًى تحت المطر في الظلام ... وأدرك الشاويش ما يعنيه «تختخ»، فقال بضِيق: إنني لم أطلب من أحدٍ إنقاذي ... وكنت سأتمكَّن من السير وحدي إلى المنزل!

قال «تختخ»: إذن نحن آسفون ... وفي المرة القادمة سنتركك لتسير وحدك إلى المنزل.

صاح «الشاويش» مُنفجرًا: ماذا تقصد في المرة القادمة ... إنني لم يهرب مني لصٌّ واحدٌ طول حياتي ... وما حدث أمس لن يتكرر مرةً أخرى ... وإنني أُطالبكم الآن، بل آمركم بصفتي ممثِّلًا للقانون، ألا تتدخلوا في عملي ... وإلا!

قفز «تختخ» إلى درَّاجته وقال: آسف يا شاويش «علي»، ولكني جائع ... ولست أصلُح للمناقشة وبطني تصرخ من الجوع ... وعلى كل حال فهناك مفاجآت في انتظارك!

فتح الشاويش فمه ليتكلم ... ولكن «تختخ» ابتعد سريعًا، وخلفه «زنجر» الذي كان آسفًا لأنه لم ينتهز الفرصة ويُداعب قدمَي الشاويش كالمُعتاد.

في المساء تم الاتفاق على أن تتكون مجموعة العمل الأولى من «محب» و«عاطف»، ومهمَّتُهما البحث عن السيارة «الجاجوار»، وكيف تم تشغيلها بعد العثور على سلسلة المفاتيح. ومجموعة أخرى مكوَّنة من «تختخ» و«لوزة» و«زنجر»، مهمَّتُهما محاولة معرفة الشيء الذي يبحث عنه «س» والأعمى ... على أن تبقى «نوسة» في مركز العمليات للاتصال بها في وقت اللزوم.

وجلست كل مجموعة تبحث عن أفضل الطُّرق للوصول إلى هدفها ... واتَّفق «تختخ» و«لوزة» على أن يقوما في الصباح بمحاولة لمقابلة السيدة «مريم»، وسؤالها عن الأشياء الثمينة التي يحتمل أن يبحث عنها «س» والأعمى ... في حين اتَّفق «عاطف» و«محب» على أن يقوما بجولة في جراجات المعادي للسؤال عن السيارة «الجاجوار». وقال «محب» معلِّقًا: من حسن الحظ أن السيارات «الجاجوار» ليست من الأنواع المنتشرة في مصر ... وسنعثر عليها سريعًا إن كانت في المعادي.

وانفضَّ الاجتماع ... وفي الصباح الْتَقى «تختخ» و«لوزة» واتَّجها إلى القصر القديم لمقابلة السيدة «مريم»، واستقبلهما البوَّاب مُستريبًا، وقال إن الشاويش قد مرَّ عليه ونبَّهه إلى عدم الإدلاء بأية معلومات للأولاد ... فقال «تختخ»: إننا لم نطلب منك أية معلومات ... وكل ما نريده هو مقابلة السيدة «مريم».

ردَّ «البواب»: سأُخبرها!

ودخل «البواب». ولدهشة «لوزة» وجدت «تختخ» يدخل خلفه من باب الحديقة الكبيرة، ويتجوَّل حول السور، ويفحص الأرض، ثم عاد فرفع الشُّجَيرات، وقرأ اللوحة الرخامية ... وعندما سمِع أقدام البواب وقف مكانه وكأنه لم يفعل شيئًا.

وقال «البواب» بلهجةٍ مُتعالية: إن السيدة «مريم» تعتذر عن مقابلتكما … فقد نبَّهها الشاويش أيضًا!

لم يُجادله «تختخ»، وانصرف هو و«لوزة» … التي كانت تشعر بخيبة أمل بالغة؛ فقد كانت ترجو أن تُثمر هذه المقابلة في حل اللغز … ولكن «تختخ» أخذ يصفِّر وهو يقود درَّاجته، ودعا «لوزة» إلى كوب من «القِرفة» في الكازينو.

وعندما جلسا في الشمس تمدَّد «تختخ» في كرسيه واستغرق في التفكير، فقالت «لوزة»: إنك لا تبدو حزينًا لهذا الفشل!

ابتسم «تختخ» وقال: وماذا نفعل … لقد حاولنا وفشلنا … وعلى كل حال ليس هذا نهاية كل شيء!

وسكت لحظةً وقال: فقد يعثُر «محب» و«عاطف» على السيارة، وقد نعرف من الرجلين ماذا يريدان من القصر القديم … وإن كنت قد بدأت أتصوَّر ماذا يريدان!

اهتمَّت «لوزة» بالجملة الأخيرة، وقالت: وعن أي شيء يبحثان يا «تختخ»؟

قال «تختخ» ببساطة: عن الكلب ذي الرأسَين!

لوزة: الكلب ذو الرأسَين! وهل تتصور أنه موجودٌ داخل القصر؟

تختخ: هذا ما أتوقَّعه!

لوزة: إنه استنتاجٌ جريء جدًّا يا «تختخ»!

ابتسم «تختخ» ابتسامةً غامضة وقال: إن القِرفة ستبرُد … اشربي!

وأدركت «لوزة» أنه لا يريد الإدلاء بمعلوماتٍ أكثر … فأخذت ترشف كوب القِرفة الدافئ وهي تفكِّر في الكلب ذي الرأسين … ماذا يعني؟ وكيف استنتج «تختخ» أنه الشيء الذي يبحث عنه الرجلان؟

ودفع «تختخ» الحساب، وعادا إلى حديقة منزل «عاطف»، ووجدا «نوسة» وحدها وبجوارها التليفون، وهي مُستغرقة في قراءة كتاب.

جلست «لوزة»، ولكن «تختخ» لم يجلس، واستأذن في العودة إلى منزله، وطلب الاتصال به إذا عاد «محب» بأيَّة أخبار.

وانطلق «تختخ» على درَّاجته … وعندما وصل إلى غُرفته أغلق الباب عليه، ثم بدأ يبحث في دولاب ملابسه عن أدوات التنكُّر … وأخرج مجموعة من الملابس أخذ يستعرضها أمامه … واستقرَّ رأيه على قميصٍ أسود وبنطلونٍ أسود، وحذاء من المطَّاط الأسود … واختار مجموعة من المفاتيح، ووضع كل هذا جانبًا، ثم أعاد بقيَّة الملابس إلى مكانها،

وتمدَّد على فِراشه، وأخذ ينظر إلى السماء من النافذة … وقد غابت الشمس خلف السُّحب الثقيلة … وأدرك أن الليلة ستكون باردةً مُمطرة، وابتسم؛ فقد كان هذا ما يرجوه.

وحان مَوعِد الغداء … وبعده أوى «تختخ» إلى فِراشه، واستمتع بدِفء الفِراش وبساعتَين من النوم العميق … وفي المساء اتَّصل بـ «عاطف» تليفونيًّا، وعرف منه أن السيارة «الجاجوار» ليست في أي جراج في المعادي … وهكذا استقرَّ رأيه نهائيًّا على مغامرة الليلة.

وكما توقَّع «تختخ» هبط الظلام مبكِّرًا على «المعادي» … ولم تكَد الساعة تبلُغ الثامنة حتى بدأ مطرٌ غزير يَهطل مِدرارًا … وانتظر «تختخ» بجوار النافذة يفكِّر وينظر إلى ساعته بين فترة وأخرى، حتى إذا حان مَوعد العشاء نزل حيث جلس مع والده ووالدته، وخطر له أن يسأل والده عن القصر القديم، فقال: هل تعرف يا أبي القصرَ القديم الذي يقع خلف العمارة الزرقاء شارع رقم ١٣٣؟

فكَّر والده لحظاتٍ ثم قال: نعم … إنه من أقدم المباني في المعادي … وأظنُّ أنه بُنِي أثناء الحرب العالمية الثانية.

تختخ: ألم تسمع شيئًا عن أصحاب هذا القصر القُدامى؟

رد «والده»: ونحن صِغار سمِعنا عن وجود كَنز في هذا القصر، وكنَّا نُسميه لهذا السبب قصر الكنز!

دقَّ قلب «تختخ» سريعًا وقال: وهل عرفتم ما هو الكنز؟

قال «والده» باسمًا: مُطلَقًا، وفي الأغلب أنها كانت إشاعة؛ لأن صاحبه الأول مات في الحرب، وثارت مشاكل كثيرة، ثم اشترته أسرة «فلتس»، وتلاشت قصة الكنز. هل ثَمَّة شيء يهمُّك في هذه المعلومات؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: إنني أعتقد في وجود هذا الكنز!

ونظر إليه والداه في دهشة، ولكنه قام مُسرعًا قبل أن يسألاه عن أسباب هذا الاعتقاد، وصعِد إلى غرفته، فخلع ملابسه العاديَّة، وبدأ في ارتداء الملابس السوداء التي أعدَّها في هذا الصباح … وانتظر ساعةً أخرى … ثم فتح النافذة وبدأ نزوله على الشجرة التي تقع تحت نافذته، وتصل أفرُعها إلى حافة النافذة.

في مصيدة الظلام ...

نزل «تختخ» سريعًا كالقط ... فطالما خرج ودخل من النافذة عن طريق الشجرة، وعرف موضع أقدامه خلال عشرات من المرَّات ... وكان يسمِّي هذه الشجرة «الممر السري» برغم أنها ليست ممرًّا. وسُرعان ما كان يهبط على أرض الحديقة بملابسه السوداء، وقد تغطَّى حتى رأسه تحت مِعطف ذي طاقية من النايلون اتِّقاءً للمطر الذي أخذ يتزايد تدريجيًّا ... وفي جيبه سلسلة المفاتيح العجيبة ذات الثلاثة مفاتيح.

كان يُحسُّ بمتعةٍ خاصة وهو يجتاز باب الحديقة إلى الشارع ... فهذه ربَّما كانت أول زيارة ليلية له دون خوف من شيء ... فليس هناك عصابةٌ تُطارده ... وهو لا يتوقَّع أيَّة مفاجآت ... أكثر من هذا أن المكان الذاهب إليه، وهو قصر «جيمس كورنويل»، ليس به إلا السيدة العجوز «مريم» ... وهي الآن تحت الأغطية تغطُّ في نومٍ عميق.

فضَّل ألا يستخدم الدرَّاجة ... وحاوَل أن يذهب بدون «زنجر» ... ولكن الكلب الأسود الذكي خرج من كشكه الصغير، وسُرعان ما كان يسير في أعقاب صاحبه، فقال «تختخ»: ألم يكُن من الأفضل أن تبقى في مكانك الدافئ بدلًا من الخروج في هذا المطر والبرد؟

زام «زنجر» مُتضايقًا، وكأنه يقول لـ «تختخ»: ألست مُغامرًا أنا الآخر.! أليس من واجبي أن أشترك في هذه المغامرة كما اشتركت في عشراتٍ غيرها؟!

على كل حال لم يهتمَّ «زنجر» باعتراض «تختخ»، ومضى خلفه يشقَّان الطُّرق المُمطرة الخالية من المارَّة ... وبعد نحو نصف ساعة أشرفا على القصر ... وكانت زيارة «تختخ» الصباحية له قد جعلته يضع خطته بدقة، دار حول السور حتى أصبح خلف القصر مباشرةً ... وهي منطقةٌ مهجورة من صحراء المعادي الواسعة ... وأخرج «تختخ» من جيب المِعطف سلَّمًا من الحِبال له خطَّافان ... وسُرعان ما أدار السُّلَّم في يده لحظاتٍ ثم

قذف به إلى حافة السور ... وجذبه، ولكن الخطاف لم يشتبك بالجدار ... فجرَّب مرةً أخرى ... وفي المرة الثالثة ثبَّت الخطاف، وجذبه «تختخ» مرَّات ليتأكَّد من تثبيته جيدًا ... ثم قال لـ «زنجر»: ستبقى هنا ومعك المِعطف ... فخُذ حذرك، ونبِّهني إذا لزم الأمر.

هزَّ الكلب الذكي ذيله ... فإن هذه المهمَّات ليست جديدة عليه، إنه يعرف أن صاحبه يقوم بمغامرة ويحتاج إلى من يحميه ... وتسلَّق «تختخ» سُلَّم الحِبال ... وفي لحظاتٍ كان يعتلي قمَّة السور ... ثم جذب السُّلَّم وألقاه في الناحية الأخرى بعد أن ثبَّته في الجدار وهبط إلى أرض الحديقة.

كان استخدام السُّلَّم ضروريًّا في تلك الليلة بسبب الأرض الزلقة من المطر ... وقد كان «تختخ» سعيدًا لأن خطته تسير على ما يُرام.

توقَّف قليلًا ينظر حوله ... كانت الحديقة المُترامية الأطراف غارقةً في الظلام والصمت، إلا من صوت حبَّات المطر وهي تهطل على أوراق الأشجار ... ولم يكُن في القصر الكبير أي علامة على الحياة.

كان هدف «تختخ» المبنى الصغير المُلحَق بالقصر ... ويُشبِه القصر الصيفي الصغير ... فأكثر جُدرانه من الزجاج ... وتغطِّيه النباتات المُتسلقة ... وبينه وبين القصر الكبير دهليزٌ مغطًّى بالزجاج الملوَّن السميك ... اقترب «تختخ» بهدوء مُحاذرًا برغم كل شيء، حتى وصل إلى الباب الجانبيَّ للقصر الصغير ... وأخرج أدواته، وأخذ يعمل ببراعة ... وبعد دقائق قليلة سمِع تكَّة القُفل وهو يفتح ... وأحسَّ بالدماء تندفع إلى رأسه ... إن عنده ثقة في أنه قريب من حل لغز الكلب ذي الرأسين، وهذا الكنز الذي تحدَّث عنه والده، والذي يُحاول «س» والأعمى الوصول إليه ... أخذ يدفع الباب تدريجيًّا حتى لا يُحدِث صوتًا ... ثم اجتاز الباب ودخل ... كان القصر الصغير غارقًا في الظلام، فأخرج «بطاريَّته»، وأطلق خيطًا رفيعًا من الضوء أخذ يمرُّ به على المكان ... وجد نفسه في صالةٍ مُستديرة، جُدرانها مكوَّنة من أعمدةٍ رخاميَّة منحوت عليها جميعًا شعار الكلب ذي الرأسين ... وخفق قلبه مرةً أخرى ... إنه الآن في قلب اللغز ... فهل يصل إلى حلِّه؟! وكانت الصالة مفروشة بمقاعد وكنبات تدور حول الجدار، ويتفرع من الصالة أربعة دهاليز ... كلٌّ منها يسير في اتجاه ... وسار «تختخ» في الدهليز الذي تصوَّر أنه يؤدي إلى القصر ... ووجد على جانبَي الدهليز حُجرتَين مُلتصقتَين ... ثم سار وهو يُطلِق خيط الضوء الرفيع ... وكان شعار الكلب ذي الرأسين يتكرَّر دائمًا فوق الأعمدة ... نفس الكلب ذي الفم المفتوح والنظرات العجيبة محفور في رخام الأعمدة ... وظلَّ «تختخ» يسير حتى وصل إلى بابٍ تأكَّد أنه الباب الموصِّل

إلى القصر ... واقترب من الباب وهو يسير على أطراف أصابعه، ووضع أذنه على فتحة القُفل، وأخذ يستمع ... وعلى الفور سمِع حديثًا يدور في الغُرفة التالية كان صوت رجل يتحدَّث في توسُّل ... وصوت سيدة تتحدث في حِدَّة وضِيق ... وكان الحديث بالإنجليزية. وبرغم إجادة «تختخ» لها فإنه لم يستطع تبيُّن الكلمات لبُعدِ المتحدِّثين والباب الخشبي السميك، ولكنه تأكَّد أن الرجل يطلب شيئًا، وأن السيدة ترفض ... ثم سمِع صرخةً مكتومة ... وصِراعًا خفيفًا، ثم زمجرة كلب ... وساد الصمت ... وبعد لحظاتٍ سمِع وقْعَ أقدام مُقبِلة نحو الباب الذي يقف خلفه ... فأسرع يتراجع جاريًا حتى وصل إلى الباب الذي دخل منه ... وخرج وترك الباب مفتوحًا قليلًا ليرقُب ما يحدُث في الداخل.

ومرَّت فترة و«تختخ» واقف في مكانه ... ثم سمِع صوت الأقدام مرةً أخرى في الصالة المُستديرة ... وسمِع بوضوح شخصًا يتحدَّث قائلًا: لقد فحصنا المكان من قبل يا سيدي!

ردَّ صوتٌ عميق: حاوِلْ مرةً أخرى ... إن الوثائق تؤكِّد وجود المكان في القصر الصغير ... وليس هناك قصرٌ سِوى هذا.

وغامَر «تختخ» ونظر من فتحة الباب ... وشاهَد الأعمى واقفًا في وسط الصالة مُمسكًا بالكلب، والرجل الآخر الذي أطلقوا عليه «س» واقفًا يُدير رأسه في المكان، وفي يده حقيبةٌ مُتوسطة الحجم ... أخرج منها عصًا من الحديد مغطَّاة بالمطَّاط، وأخذ يدقُّ الأعمدة الرخامية ويستمع ... وكأن الأعمى فقدَ بصره، فأخذ هو الآخر يتحسَّس الأعمدة بأصابعه ثم يدقُّ عليها بعصاه ... ومضى الوقت دون أن يبدوَ أنهما عثَرا عمَّا كانا يبحثان عنه.

وقال «س»: لقد انتهيت من فحص جميع الأعمدة ... وليس في الصالة المُستديرة شيء ... هل ننتقل إلى غُرفةٍ أخرى؟

صمت الأعمى دون أن يرد ... وفي هذه اللحظة سمِع «تختخ» صوت أقدام ثقيلة آتية من ناحية القصر، وبخبرته بالشاويش «علي» لم يشكَّ لحظةً في أن القادم هو.

وكان الرجلان يتَّجهان إلى غُرفةٍ جانبية عندما سمِعا صوت الأقدام ... ثم سمِع «تختخ» صوت الشاويش وهو يقول بصوتٍ مُرتفع: هل ما زالا هنا؟

واندفع الرجلان يجريان ... ودُهش «تختخ» لقدرة الأعمى على الجري دون أن يتعثَّر، واتَّجها فورًا إلى الباب الذي يقف خلفه «تختخ» ... فأسرع يتوارى خلف شجرة وراءهما، وهما يتَّجهان ناحية السور، ثم تلاشَيا في الظلام ... ثم بعد فترة شاهَد الشاويش يخرج من نفس الباب يحمل سلاحه بيد وبطارية باليد الأخرى ... وبدأ الشاويش يمشي مُحاذرًا بين الأشجار وهو يُلقي ضوء بطاريته هنا وهناك، وأحسَّ «تختخ» بالتوتُّر؛ فقد كان من

الممكن في أيَّة لحظة أن يتَّجه الشاويش ناحيته، ولن يستطيع مُطلَقًا تبرير وجوده في هذا المكان ... في هذه الساعة ... ولم يكُن يستطيع الحركة؛ فبرغم أن المطر كان ما زال يهطل ... إلا أن صوته الرقيق على الأرض لم يكُن يمكن أن يُخفيَ أيَّة حركة تصدُر من «تختخ».

وبدأ ضوء البطارية يتَّجه ناحية «تختخ» فعلًا ... وبرغم خطورة موقف «تختخ» إلا أنه استمتع برؤية قطرات المطر وهي تلمع في أشعة البطارية الكبيرة التي كان الشاويش يُطلِقها في كل اتجاه ... وفجأةً سمِع «تختخ» صوت نُباح طويل عميق ... ثم صوت محرِّك سيارة يدور ... وأدرك أن الرجلين قد ابتعدا ... وفكَّر لماذا لم ينطلق خلفهما! لماذا لم يُحاول الالتحام معهما! ... وأدرك أن شعورًا خفيًّا في نفسه أكَّد له أنهما ليسا لصَّين ... وأنهما يبحثان عن شيء يخصُّهما ... بل بالتحديد يخصُّ الرجل الأعمى.

كانت اللحظات القليلة التي سرح فيها خيال «تختخ» فيما يفكِّر فيه كافية لأن ينسى الخطر المُحدِق به ... وكافية أيضًا لكي يعثُر الشاويش في طين الحديقة على آثار أقدام «تختخ»، ثم يطلق ضوء البطاريَّة فيقع على قدمَيه ... ولم يُفِق «تختخ» من تأمُّلاته إلا عندما وجد أشعة البطارية أمامه فتحرَّك مُسرعًا ... وسمِع الشاويش يقول: قِف مكانك!

ولكن «تختخ» أطلق ساقَيه جاريًا ... وخلفه انطلق الشاويش وضوء الكشَّاف يشقُّ الظلام.

ووضع «تختخ» خطته ... إنه لن يفر ... سيُحاول فقط تضليل الشاويش، ولكنه كان واهمًا ... فقد أطلق الشاويش مسدَّسه ... ودوَّت الطلقة في الظلام مُنذرةً «تختخ» ... إن الحكاية ليست لعبًا ... وإن الشاويش لن يتردَّد في إصابته إذا تمكَّن من ذلك.

وقرَّر على الفور أن يُسارع بالهرب ... ولكن للحظ السيِّئ كان الشاويش يتحرَّك قرب المكان الذي ترك فيه «تختخ» السُّلَّم ... وكان عليه في هذا الوحل الزَّلِق أن يُحاول القفز إلى قمَّة السور ... ولم يكُن ذلك سهلًا؛ فقد كان السور مُرتفعًا، ولا بد من وجود جزء من السور بجواره شجرةٌ عالية يستطيع تسلُّقها.

واستمرَّت المحاورة بين «تختخ» والشاويش ... اختفاء خلف شجرة ثم الانتقال منها إلى شجرةٍ أخرى ... ودهش «تختخ» لبراعة الشاويش في المطاردة، فلم يستطع أبدًا أن يضلِّله ... وبدأت المطاردة تقترب من نهايتها عندما استطاع الشاويش أن يُحاصر «تختخ» قرب السور ... وأصبح انتقال «تختخ» من شجرة إلى شجرة مسألةً مُستحيلة، خاصَّةً وأن الشاويش كان شاهرًا مسدَّسه، مُستعدًّا لإطلاقه إذا وقعت عينه على «تختخ» ... ولم يعُد أمام «تختخ» إلا أن يسلِّم نفسه، أو يفقد الشاويش الشيء الذي يعتمد عليه في المطاردة، وهو البطارية الضخمة.

وقرَّر أن يلجأ إلى الحل الثاني أولًا … وبدأ يدور بخفَّة ليقترب من الشاويش دون أن يكشف نفسه … وأخيرًا استطاع أن يقف بجِوار شجرة قريبة من يسار الشاويش، وأخذ يتحسَّس الأرض بقدمه حتى وجد غصن شجرة طويلًا … فمدَّ يده وأمسكه وكمن في الظلام … وأخذ الشاويش يقترب ويقترب حتى أصبح في إمكان «تختخ» أن يوجِّه ضربته التي أراد منها أن يُصيب زجاج البطارية، فيكسره ويكسر اللمبة، وفي الظلام يستطيع أن يهرب … ورفع الغصن إلى فوق … حتى إذا أصبح في متناول يده هوى بالغصن على البطارية!

الكلب «ذو الرأس الواحد» ...

تهشَّم زجاج البطارية بصوتٍ مسموع ... وأطلق الشاويش رصاصةً أخرى، ثم ساد الظلام والصمت ... وأسرع «تختخ» يجري في اتجاه السور حيث ترك السُّلَّم، وكان مُتأكدًا أن الشاويش لن يستطيع اللحاق به ... ووجد السُّلَّم مكانه فتسلَّقه مُسرعًا ... ثم جذبه إلى قمة السور، وألقاه في الناحية الأخرى ونزل ... وسمِع «زنجر» يزوم في الظلام ... فطوى السُّلَّم مُسرعًا، ووضع المِعطف على كتفَيه، وانطلق في الظلام وهو يفكِّر في كل ما جرى ورأى ... ما هو الشيء الذي يبحث عنه الرجلان؟ وهل تَعلَم «مريم» مكان هذا الشيء؟ لقد سمِع صوت سيدة تُجادل الرجلين، ومن الواضح أنهم كانوا يتحدثون كمن يعرفون بعضهم البعض من قبل. فما هو سر العلاقة بينهم؟ وما الذي أتى بالشاويش «علي» في هذه الساعة من الليل؛ هل كان يتبعه أو كان يقوم بعملية الدوريَّة العادية؟ وهل السيدة هي السيدة العجوز صاحبة القصر؟

ظلَّ يفكِّر حتى وصل إلى المنزل، وتسلَّق النافذة، وقفز إلى داخل غُرفته وخلع ثيابه، ثم اندسَّ تحت الأغطية ... وأوى «زنجر» إلى كشكه الصغير وهو مُتضايق لأنه لم يشترك في هذه المغامرة بدورٍ هامٍّ كعادته.

في صباح اليوم التالي كان المغامرون الخمسة يعقدون اجتماعهم العادي في حديقة منزل «عاطف» كالمُعتاد، وفي كلماتٍ سريعة مُوجَزة روى «تختخ» مغامرة الليل في القصر القديم ... ومشاهداته هناك ... وعندما روى ما شاهَده من محاولة الرجلين البحث عن تجويف في الأعمدة قالت «لوزة»: هذا يعني أن الكلب ذا الرأسين وراءه سرٌّ ما ... يمكن كشفه عن طريق هذه الأعمدة.

عاطف: هذا واضح طبعًا ... ولكن حديث الأعمى يدل على أن المعلومات التي عنده ليست دقيقة ... بدليل أنه وزميله لم يستطيعا تحديد العمود المطلوب بالضبط ... العمود الذي يُخفي ما يبحثان عنه.

محب: وهذا ما يجب أن نبحث عنه نحن!

تختخ: المشكلة أن الشاويش الآن سيُرابط في القصر ... بعد محاولة الأمس من الرجلين، وبعد المطاردة التي تمَّت بيني وبينه ... وسيصبح دخول القصر مُتعذرًا جدًّا، وهذه هي المشكلة التي يجب أن نبحث عن حل لها، إذا كنَّا نريد حقًّا حل لغز الكلب ذي الرأسين ... وأنا شخصيًّا شديد الرغبة في معرفة حقيقة ما يبحث عنه هذان الرجلان.

ساد الصمت فترةً ... وغرِق كلٌّ من المغامرين الخمسة في خواطره ... يبحثون عن خطةٍ تمكِّنهم من دخول القصر في غَيبة الشاويش ... وفجأةً قالت «نوسة»: هناك خطةٌ بسيطة جدًّا وعملية في نفس الوقت!

والتفت إليها المغامرون فقالت: نستطيع إبعاد الشاويش عن القصر بمكالمة من مجهول!

طرقع «تختخ» بأصبعَيه علامة الموافقة، وقال: تمامًا ... لقد فكَّرت في نفس الخطة!

نوسة: ولكي نفتح شهيَّته للحركة ... فعلى من يحدِّثه أن يقول له إن المغامرين الخمسة قد عرفوا مكان الرجلين اللذين اقتحما القصر ... وإنهم ذاهبون للقائهما!

لوزة: فكرةٌ عظيمة!

تختخ: فليكُن ذلك الليلة ... وسأتَّصل بالشاويش تليفونيًّا الآن بعد أن نضع تفاصيل الخطة!

محب: أقترح أن أقوم أنا و«عاطف» بتضليله ... ويمكن أن نحدِّد مَوعدًا مُناسبًا ومكانًا بعيدًا، وسيأتي خلفنا، وسنضيِّع وقتًا طويلًا في مغامرات وحركات لا معنى لها ... وفي هذه الأثناء يكون «تختخ» في القصر يبحث عن التجويف الذي في الأعمدة!

تختخ: وأين المكان؟

محب: أقترح أن يكون على طريق «حلوان» قرب شاطئ النيل ... وسنأخذ معنا بطاريتَين نُطلِق منهما أضواءً مختلفة، بحيث يتصوَّر الشاويش أنها إشارات!

لوزة: إنني أريد أن أدخل القصر مع «تختخ»؛ فمنذ فترة طويلة وأنا و«نوسة» نكتفي بالجلوس في الحديقة والثرثرة كالعجائز!

تختخ: مُوافق ... فإنني في حاجة إلى من يُعاونني في البحث؛ فتعالَي معي أنت و«نوسة»!

لوزة: ولا تنسَ سلسلة المفاتيح!

فكَّر «تختخ» لحظات، ثم ضرب جبهته بيده قائلًا: الآن أدركت عن أي شيء كان الرجلان يتحدثان مع السيدة العجوز … لقد كانا يظنَّان أن سلسلة المفاتيح سقطت من «س» في القصر عندما اقتحمه أول مرة … إنهما بالطبع لن يستطيعا فتح باب التجويف إلا بالمفتاح الذي في السلسلة … إن فرصتنا أكبر من فرصة الرجلين، وسوف نُفاجئ الشاويش عندما نضع كل الحقائق بين يدَيه في الوقت المُناسب … وسكت «تختخ» لحظاتٍ ثم قال: سأتحدَّث معه الآن!

ورفع سماعة التليفون، وأدار رقم تليفون قسم الشرطة … وسُرعان ما ردَّ عليه الشاويش، فأخرج «تختخ» مِنديلًا من جيبه، وربطه على فمه سريعًا، وأخذ يتحدث مع الشاويش بصوتٍ مُغاير لصوته الطبيعي. قال «تختخ»: إنني شخصٌ مجهول يُساعد العدالة … لقد سمِعت منذ ساعة ولدَين يتحدَّثان عن مقابلة ستتمُّ عند أول طريق حلوان من ناحية النيل … إنهما سيُقابلان شخصيةً أجنبية … أحدهما لصٌّ اقتحم منزل سيدة عجوز تُدعى «مريم» في «المعادي» … هل تعرف هذه السيدة؟

رد «الشاويش» باهتمام: نعم أعرفها جيدًا!

قال «تختخ»: إنهما يزعمان أن هناك كنزًا في القصر … وأن الرجلين عثَرا عليه!

الشاويش: ولماذا إذن يتقابل الأربعة؟

تختخ: لا أدري … ولكنهم سيتقابلون في الحادية عشرة ليلًا!

الشاويش: هل عرفت اسم الولدَين؟

تختخ: لا … ولكن سمِعت أحدهما يُنادي الآخر باسم «عاطف»!

الشاويش: إنني أعرفه … أعرفه … إنه …

وسكت «الشاويش» ثم عاد يقول: من أنت؟

ولكن «تختخ» اكتفى بما قال ووضع السماعة … وفكَّ المنديل … وضحِك الجميع؛ فقد جازت الخدعة على الشاويش … ولم يبقَ إلا تنفيذ الخطة.

زعم المغامرون الخمسة أنهم مدعوُّون إلى عيد ميلاد صديق لهم … ليتمكَّنوا جميعًا من الخروج من بيوتهم في الليلة الباردة … وإن كانت لحسن الحظ غير مُمطرة. وقد طلب «تختخ» من الجميع أن يلبسوا ملابس قاتمة … وفي العاشرة كانوا مُجتمعين لوضع التفاصيل الأخيرة للخطة، ثم انصرف «محب» و«عاطف» على درَّاجتَيهما … وكم كانت

دهشتهما وسرورهما في نفس الوقت عندما لاحَظا أن الشاويش يتبَعهما أيضًا على درَّاجته، وإن حاوَل أن يكون بعيدًا حتى لا يرَياه.

وعندما ابتعد الثلاثة ... بدأ «تختخ» و«لوزة» و«نوسة» تحرُّكهم إلى القصر القديم وخلفهم «زنجر»، وسُرعان ما كان «تختخ» ينفِّذ خطته السابقة ... سُلَّم الحِبال في نفس المكان ... وصعِدت «لوزة» أولًا ... ثم «نوسة»، ثم «تختخ»، ونزل الجميع إلى حديقة القصر ... ثم تسلَّلوا مُسرعين إلى القصر الصغير ... وفي دقائق قليلة كان «تختخ» قد فتح الباب ... وتسلَّل الثلاثة إلى الصالة المُستديرة.

وقفت «نوسة» و«لوزة» مبهورتَين أمام المشهد ... عشرات من الأعمدة كلٌّ منها يحمل قرب نهايته تمثالًا للكلب ذي الرأسين منحوتًا في الرخام الأبيض الجميل ... كان مشهدًا يُدير الرءوس حقًّا ... ومشى الثلاثة حتى نهاية المَمر الذي يوصِّل إلى القصر الكبير ... كان «تختخ» يريد أن يتأكَّد أن لا أحد هُناك ... وأن السيدة العجوز قد أوَت إلى فِراشها ... وعندما تمكَّن من فتح الباب الموصِّل إلى القصر الكبير وجد الظلام يَسُود القصر، لا ضوء ولا حتى مجرَّد ضوء خافت ... وأحسَّ بالقلق ... في مِثل هذا القصر الكبير لا بد أن يوجد ضوءٌ ما ... ولو بسيط كما يحدُث في كل البيوت أثناء النوم ... هل هو كمينٌ أُعدَّ لهم! ... هل الشاويش أبرَعُ مما يتصوَّرون؟ هل اتَّصل برئاسة الشُّرطة وأخبر المفتش؟ ولكن المفتش ليس موجودًا هذه الأيام! ربما ضُباطٌ آخرون!

والتفت إلى «نوسة» و«لوزة» قائلًا: إنني سأمرُّ مرورًا سريعًا في القصر ... فإنني أشعر بقلقٍ حِيال هذا الصمت والظلام ... هناك شيءٌ غير طبيعي الليلة ... قوما أنتما بالبحث ... لعلَّكما تجدان التجويف الذي يبحث عنه الرجلان.

ومشى «تختخ» مُحاذرًا وهو يُطلِق شعاع ضوء رفيع من بطاريته الصغيرة ... ووصل إلى الصالة الكبيرة، وأخذ يُدير بطاريته في أنحائها حتى وقعت على مِدفأة من الرخام ... مِدفأة رائعة لم يرَ لها مثيلًا من قبل ... وعلى قِمَّتها كان تمثال الكلب ذي الرأسين ... ضخم ... ومُخيف ... وكأنه يحرس المكان ... واقترب منه وأخذ يحدِّق فيه ... هل يختفي السر وراء هذا التمثال؟!

لم تكُن هناك إجابة عن هذا السؤال ... وعاد يطوف بالقصر ... لا أحد هناك ... لا ضوء ... لا أثر للحياة ... شيءٌ غير معقول!

وعاد إلى القصر الصغير ... وسمِع حديث «لوزة» و«نوسة»، وبرغم أنهما كانتا تتهامسان إلا أنه أحسَّ بأنهما مُنفعلتان ... مُتحمستان أكثر من اللازم في هذا المكان ... ودخل مُسرعًا ... وسمِع «لوزة» تقول: في هذا المكان يكمُن السر!

وأسرع إليهما قائلًا: ماذا حدَث ... هل عثَرتما على شيء؟

قالت «لوزة» بانفعال: تمثال للكلب ... ولكنه في هذه المرة ذو رأسٍ واحد!

ردَّد «تختخ» الكلمات دون وعي: الكلب ذو رأسٍ واحد!

نوسة: نعم ... تعالَ وانظر!

ومشى معهما ووصلوا إلى أحد الدهاليز التي تتفرَّع من صالة القصر الكبير، وانتهى الدهليز بصالةٍ مُستديرة، ولكن صغيرة ... صالة تتَّسع لشخصَين فقط ... وقد دارت حول الجُدران تماثيل الكلب ذي الرأسين ... ولكن عندما أطلقت «لوزة» ضوء كشَّافها على قمة الصالة حيث تجتمع قِمَم الأعمدة ... كانت جميعًا تجتمع عند مجموعة من تمثال الكلب ذي الرأسين ... لم يكُن هناك رأسٌ واحد!

قال «تختخ» مُتضايقًا: ماذا حدث؟ ... إنه نفس التمثال ذي الرأسين كالعادة ككل التماثيل!

قالت «لوزة»: إنك تعوَّدت أن ترى الكلب ذا الرأسين ... ولكن دقِّق جيدًا ... هناك كلب ذو رأسٍ واحد!

أخذ «تختخ» يفحص التماثيل التي تتلامس رءوسها في سقف الصالة ... ومرةً ثانية قال بضِيق: إنه نفس التمثال ...

قالت «نوسة» وهي تُطلِق شعاع بطاريتها إلى فوق: إنك تنظر إلى التماثيل كلَّ اثنين معًا ... لهذا تجد دائمًا التمثال المُعتاد ... الكلب ذا الرأسين ... ولكن عُدَّ هذه الرءوس ... عُدَّها ...

وأخذ «تختخ» يعدُّ التماثيل ... وسُرعان ما أطلق صيحة دهشة ... كانت التماثيل المُتعانقة بجوار بعضها تبدو كأنها مجموعة من تماثيل الكلب ذي الرأسين، ولكن الرءوس كانت سبعة فقط ... ومعنى ذلك أن هناك ثلاثة تماثيل ذات رأسين، وهناك تمثال له رأسٌ واحد ... وهو التمثال الوحيد في عشرات التماثيل التي تملأ القصر الصغير والكبير ذو رأسٍ واحد.

وقال «تختخ» هامسًا: نعم ... فهمت ... ولكن هل يعني هذا شيئًا؟

ردَّت «لوزة»: لا بد أن يعنيَ شيئًا ... المهم أن نصل إليه!

مُفاجأة السيِّدة العجوز ...

قالت «نوسة»: إن سقف الصالة مُرتفع، ولن نستطيع الوصول إليه!

تختخ: لقد شاهدت أثناء تجوُّلي سلَّمًا ... سأذهب لإحضاره ...

وأسرع «تختخ» ووجد السُّلَّم بجوار الباب الذي يَفصِل القصر الصغير عن القصر الكبير ... ولا يدري لماذا أحسَّ كأن وجود السُّلَّم في هذا المكان كان مدبَّرًا ... ولكنه حمله وعاد به ... كان سلَّمًا ذا ضلفتَين يُشبِه رقم ٨ ... وضعه «تختخ» في وسط الصالة وصعِد عليه ... في حين قامت «نوسة» و«لوزة» بتوجيه ضوء الكشَّافين إلى حيث تجتمع رءوس الكلاب النابحة.

وقف «تختخ» عند آخر درجة في السُّلَّم وأخذ يتأمل الكلاب ... كلها مُتشابهة ... وكلٌّ منها يصحُّ أن يكون مُنفردًا أو مُزدوجًا ... ولم يكُن الضوء كافيًا لإدراك أي فارق بين الرءوس السبعة ... وفكَّر «تختخ» أن يُضيء نور الصالة ... ولكنه خشيَ أن يتنبَّه البواب لهذا الضوء ... فأخرج كشَّافه وأخذ يتأمل كل كلب على حِدة ... وخُيِّل إليه أن عيون الكلاب السبعة تنظر إليه جميعًا نظرةً واحدةً شرِسة ... وأحسَّ أن رأسه يدور، وأنه سيسقط ... فأغمض عينَيه لحظات وفكَّر في المِفتاح الذي معه ... ما هو المكان الذي في رأس الكلب يصلُح لدخول المِفتاح؟ وكانت الإجابة واحدة ... العين! ودقَّ قلب «تختخ» سريعًا ... أحد هذه العيون السبعة هو ثقب المِفتاح ... وبسرعةٍ أخرج سلسلة المفاتيح من جيبه ... ومدَّ يده وأخذ يجرِّب كلًّا منها ... ووصل إلى الكلب الخامس ... وأحسَّ أن المِفتاح يكاد يدخل في العين ... وحاوَل مرةً أخرى ... وفجأةً وجد المِفتاح يدخل في دائرة العين تمامًا ... وارتعدت يد «تختخ» وسمِع شهقة «لوزة» ... وأدار المفتاح في الثُّقب ... وتوقَّع «تختخ» أن ينفتح شيء ... ولكن شيئًا من هذا لم يحدُث ... ظلَّت الكلاب السبعة تنظر إليه ... ولم يسمع تكَّةً ما تدلُّ على فتح باب ... وحاوَل إدارة المفتاح مرةً أخرى، ولكنه لم يدُر ... لقد دار

دورةً واحدةً كاملة ثم توقَّف وانتهى الأمر ... وأحسَّ «تختخ» بخيبة أمل ... وقال بصوتٍ هامس: أديرا البطاريَّتَين حول الجُدران!

ودار شعاع الضوء في الصالة الصغيرة ... ولكن لم يكُن هناك شيءٌ غير عادي ... وأخذ عقل «تختخ» يعمل سريعًا ... إن وجود الكلب ... والمفتاح دليلٌ على أنه يفتح شيئًا ما ... فأين هذا الشيء؟! أخذ يتحسَّس رءوس الكلاب كلها ... ولكنها كانت صُلبة تمامًا ... ودقَّ عليها بطرف البطارية ... ولكنه لم يشعر مُطلَقًا أن هناك شيئًا غير عادي.

وفجأةً طافت بذِهنه صالة القصر الواسعة ... وتمثال الكلب ذي الرأسين ... هذا التمثال الكبير المُنفرد فوق المِدفأة ... ونزل «تختخ» تاركًا المِفتاح مكانه، وعندما وصل إلى نهاية السُّلَّم قال لـ «لوزة» و«نوسة»: لا شيء هنا ... ولكن هناك أملًا أن نجد شيئًا في الصالة الكبرى في القصر ... قلبي يحدِّثني أن التمثال الكبير هناك يعني شيئًا.

وتسلَّل الثلاثة بهدوء ... ووصلوا إلى الصالة الكبيرة ... وبقلبٍ مُرتجف وجَّه «تختخ» شعاع الضوء إلى التمثال الكبير ... ولم يستطع تمالُك نفسه لما شاهَده، وصدرت منه صيحةٌ خافتة ... كان أحد الرأسين مفتوح الفم تمامًا ... وقد بدا بين الفكَّين تجويفٌ مُظلِم ... إذن لقد صدَق حَدسُ «تختخ» ... وأن المفتاح عندما يدور في عين الكلب في الصالة الصغيرة، يفتح فم الكلب الكبير فوق المِدفأة!

أسرع «تختخ» وخلفه «لوزة» و«نوسة»، ومدَّ «تختخ» يده ليدخلها في التجويف، وفي هذه اللحظة حدث شيءٌ خطير ... أُضيئت أنوار الصالة كلها ... وسمِع الثلاثة صوتًا هادئًا يقول: شكرًا لكم ... لقد انتهت مهمَّتكم!

وقف الثلاثة في أماكنهم كالتماثيل ... ثم التفتوا إلى مصدر الصوت ... وشاهَدوا سيِّدة عجوزًا تقف بجوار لوحة الإضاءة مُبتسمةً ... وهي تستند على عصًا زرقاء.

كانت يد «تختخ» ما تزال داخل التجويف، فقالت السيدة: أرجو ألا تمدَّ يدك أكثر ... وتعالَوا نتحدث!

وبهدوءٍ شديد تقدَّمت السيدة، ولاحظت «نوسة» أنها برغم سنها جميلة، شديدة الأناقة، قوية الشخصية ...

واختارت السيدة كرسيًّا جلست فيه، وأشارت إلى المغامرين الثلاثة الذين أحسُّوا أمام شخصيَّتها القويَّة أنهم يجب أن ينفِّذوا أوامرها، فتقدَّموا وكأنهم تحت تأثير مِغناطيس وجلسوا.

قالت «السيدة»: إنكم ثلاثة فقط ... وقد سمِعت أنكم خمسة!

ردَّت «لوزة»: إننا فعلًا خمسة … ولكن شقيقي «عاطف» و«محب» شقيق «نوسة» في مهمَّةٍ أخرى!

ابتسمت «السيدة» وقالت: لا بد أنهما يضلِّلان الشاويش!

صاحت «نوسة» مُندهشةً: كيف عرفت؟

قالت «السيدة»: لقد أخبرني الشاويش أن شخصًا مجهولًا اتصل به وأخبره أنكم ستُقابلون سير «كورنويل» وسائقه على شاطئ النيل … وأنه سيذهب للقبض عليكم جميعًا هناك، وقد تصوَّرت أنها خدعة … وقلت له ذلك، ولكنه لم يصدِّقني!

تحدَّث «تختخ» لأول مرة قائلًا: ولكن من أين عرفت أننا خمسة؟

قالت «السيدة» وهي تعتدل في جلستها: الفضل للشاويش … فعندما حضر للحديث معي أول مرة حذَّرني من مقابلتكم … وقال إنكم خمسة من الأولاد والبنات تتدخَّلون في عمله، وإنكم قد تحضُرون وتُحاولون دخول القصر … وإنني يجب أن أُخطِره إذا رأيتكم!

لوزة: وهل ستُخطِرينه الآن؟

ردَّت «السيدة»: ذلك مُتوقف على أشياء كثيرة … أولها ماذا يوجد في هذا الفم المفتوح!

تختخ: ألا تعرفين؟

السيدة: لا … وقد سمعت عندما اشترى أبي هذا القصر أن فيه كنزًا من المجوهرات … وقد حاوَل عشراتٌ قبلكم العثور على هذا الكنز … ولكن لم يستطع أحدٌ الوصول إلى الحقيقة حتى الآن … إنكم في الحقيقة غاية في الذكاء … وإنني أهنِّئكم على المجهود الذي قمتم به …

تختخ: أليس من حقِّنا أن نعرف ماذا في فم الكلب ذي الرأسين؟

السيدة: ستعرفون طبعًا … حتى لا أحرمكم من ثمرة مجهوداتكم. إن هناك قصةً أخرى عن هذا الكنز … والقصة الثانية تؤكِّد أنه ليس كنزًا، ولكنه شيءٌ آخَر!

قالت «لوزة» باهتمام وتسرُّع: ما هو؟ هل له علاقة بالرجلَين … الأعمى والآخَر؟

ردَّت «السيدة»: نعم … وهي قصةٌ مؤلمة … أتمنَّى أن تبقى سرًّا بيننا إذا وجدنا في فم الكلب ما يُثبِت صحَّتها!

وتقدَّمت السيدة في وقار وهي تستند على عصاها حتى وصلت إلى التمثال الرخامي الكبير وعيونُ المغامرين الثلاثة معلَّقة بها … ثم مدَّت يدها فخفَقت القلوب الثلاثة … وخرجت يد السيدة وبها لفَّةٌ صغيرة من الجِلد الأسود … عادت بها إلى حيث جلس الأصدقاء، ثم أخذت تفتحها بأصابع مُرتعدة.

كانت عيون المغامرين الثلاثة مثبَّتة على اللفَّة الجلدية السوداء ... وانتهت السيدة من فكِّ الأربطة ... وأخرجت ما كان في اللفَّة ... وأُصيبَ المغامرون الثلاثة بضِيقٍ شديد ... لم يكُن هناك كنز ... ولا مجوهرات ... بل مجموعة من الأوراق الصفراء المُتآكلة!

وقالت «السيدة»: إن القصة الثانية هي القصة الحقيقية ... فليس هناك كنز ... إنها مجموعة من المستنَدات يبحث عنها سير «كورنويل»!

تختخ: وما هي حكاية المستنَدات هذه؟ ولماذا هي مهمة إلى هذا الحد؟

تنهَّدت السيدة قائلةً: إنها قصةٌ طويلة ... يمكن أن ألخِّصها لكم في كلمات.

وتطلَّعت إلى المستنَدات لحظات، وأخذت تقلِّبها في يدها وتقرأ ما بها، ثم قالت: سيَسعَد سير «كورنويل» بها كثيرًا ... وأعتقد أنه سيدفع لكم مُكافأةً سخيَّة.

قالت «نوسة»: إننا لا نتقاضى مكافآت عمَّا نفعل، كل ما يهمُّنا أن نصل إلى الحقائق.

السيِّدة: يا لكم من أولادٍ أذكياء ... وكُرَماء أيضًا!

لوزة: ما هي القصة لو سمحت؟

السيدة: إنك مُتحمسة جدًّا يا صغيرتي الجميلة ... القصة حدثت أثناء الحرب العالمية الأولى؛ أي التي وقعت أحداثها بين عامَي ١٩١٤ و١٩١٨. لقد انتشرت شائعة في إنجلترا تتَّهم لورد «كورنويل» بأنه خائن ... حتى أطلقوا عليه لقب الكلب ذي الرأسين ... لأن المفروض أنه كان جاسوسًا لإنجلترا على ألمانيا عدوَّتها ... ولكنه كما قالت الشائعة ... كان يتجسَّس للطرفَين ... أي إنه جاسوسٌ ذو وجهَين ... أو جاسوسٌ مُزدوج ... حتى أطلقوا عليه اسم الكلب ذي الرأسين لهذا السبب ... وضاق الرجل بالشائعات، فجاء إلى مصر وأقام بها، وبنى هذا القصر كما ترَون ... وملأه بتماثيل الكلب ذي الرأسين ... كأنه يتحدى الذين يُشيعون عنه هذا الكلام ... وقيل يومها إنه هرَّب كنزًا من المجوهرات وأخفاه في القصر ... ولكن الحقيقة أن هذا الكنز لم يكُن سِوى مجموعة من المستنَدات تؤكِّد براءته من التُّهمة ... وكان ينوي نشرها بعد انتهاء الحرب ... ولكنه مات دون أن يتمكَّن من إثبات براءته.

وصمتت السيدة لحظاتٍ ثم عادت تقول: وقد حاوَل ابنه أن يبرِّئ والده ... وظلَّ يبحث عن هذه المستنَدات حتى علِم أنها في هذا القصر.

تختخ: هل هو الأعمى؟

السيدة: نعم ... لقد كان بطلًا من أبطال الحرب العالمية الثانية، وأُصيبَ أثناء العمليات وفقدَ بصره ... ولقد تركت له في العام الماضي حُرية البحث في القصر كما يشاء ... وقضى

فترةً طويلة في الشتاء الماضي يبحث دون أن يصل إلى شيء ... ثم جاء هذا العام أيضًا، ولكنِّي رفضت أن يُحاول مرةً أخرى.

وابتسمت وهي تقول: بصراحة ... كنت أظنُّ أنه كنز ... وحاولت أن أحصل عليه لنفسي، ولكن الآن أشعر بالأسف ... لأنني اضطررته إلى محاولة دخول القصر خِلسةً للبحث، وأظنُّه سيكون أسعد إنسان عندما يرى هذه المستنَدات التي تُثبِت براءة والده، وسأتَّصل به الآن.

وقبل أن تمدَّ السيدة يدها إلى التليفون ... سمِع الجميع جرس الباب يدقُّ بشدة في الصمت، فنظر «تختخ» إلى السيدة التي قالت: أرجو أن تفتح لنرى من القادم في هذه الساعة!

وأسرع «تختخ» يفتح الباب ... وأخذ ينظر إلى القادم في دهشة ... فلم يكُن إلا الشاويش «علي» الذي بدا مُجهَدًا وغاضبًا، فصاح بـ «تختخ»: أنت؟! ماذا تفعل هنا؟ إنني أقبض عليك!

ولكن قبل أن يُتمَّ جملته قالت السيدة: ادخل يا شاويش من البرد ... وأرجو أن تشترك معي في شكر أصدقائنا المغامرين الذين حلُّوا لغزًا عمره أكثر من خمسين عامًا ... وفشلت جهود عشرات الرجال في حلِّه!

الشاويش: ولكن ... إن ... الذي ...

السيدة: لا شيء يا شاويش ... لا، لكن ... ولا إن ... ولا الذي ... إنني صاحبة هذا القصر ... وأُحبُّ أن أبلِّغك أن شيئًا لم يُسرَق منه ... وأن هؤلاء الثلاثة ضُيوفي!

والتفتت إلى الأصدقاء قائلةً: بالمناسبة أرجو أن تتناولوا معي الغداء غدًا ... وسيكون معنا سير «كورنويل»؛ فقد تكون عندكم أسئلة تُحبُّون أن يُجيب عنها.

ووقف الثلاثة ... وتبادلوا التحيَّة مع السيدة، ثم انسحبوا خارجين ... في حين وقف الشاويش مكانه مفتوح الفم ... لا يصدِّق ما سمِعته أُذناه.


هنداوي